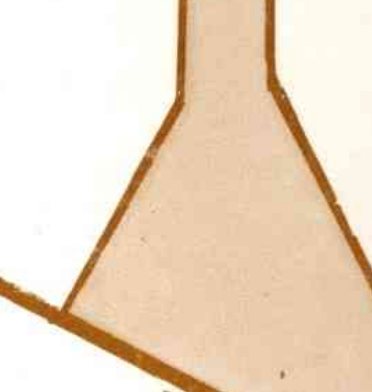
وزارة التعليم العالي والبحث العلمي
مركز إحياء التراث العلمي العربي
جامعة بغداد

# أبو بكر الرازي وأثره في الطب



وزارة التعليم العالي والبحث العلمي
مركز احياء التراث العلمي العربي
جامعة بغداد

# أبو بكر الرازي وأثره في الطب

مطبعة العمال المركزية / بغداد
١٩٨٨

بســم الله الرحمـن الرحيـم

## كلمة السيد رئيس المركز ـ الدكتور خالص الاشعب

تنوع العطاء العلمي لمدينة بغداد ليشمل ميدان الطب ، اذ فيها تعلم ابو بكر محمد بن زكريا الرازي الطب واتقنه في المجالين النظري والعملي في المستشفى العضدي الى الدرجة التي استحقت اقامة هذه الندوة العلمية المهمة من مركز احياء التراث العلمي العربي بجامعة بغداد ضمن برنامجه العلمي للعام الدراسي ١٩٨٧/١٩٨٨ ، وبالتعاون مع عمادة الكلية الطبية وذلك للمدة من ١١–١٢ تشرين الثاني ١٩٨٧ •

ان من اهداف هذه الندوة العلمية محاولة توضيح الحيز الذي ملاءه الرازي في هذا الحقل والذي جاء ضمن جملة حقول علمية اخرى مارسها الرازي حيث كان يتصف بالموسوعية التي وازن من خلالها بين العلوم •

تميز الرازي بجملة صفات منها التواضع ، وقد قال في ذلك ان الطب غاية لا تدرك • كما انه ربط بين علم الطب وعلم النفس اذ أكد على ان الشفاء المرجو لا يمكن ان يتحقق بدون ان يتوفر الاستعداد النفسي لدى المريض وهو واجب ينبغي على الطبيب ان يهتم في ادخاله في اعتقاد المريض• كما انه أرسى قواعد تسهيل امر العلاج منها نصيحته بعدم التردد على كثير من الاطباء ، وتفضيله العلاج بالغذاء على الدواء •

وفي دراساته العلمية والطبية التي قيل بانها قد بلغت ( ٢٢٠ ) دراسة او كتابا من جملتها كتاب ( الحاوي ) وكتاب ( الجامع ويسمى خاطر صناعة الطب ) وهو في كل انتاجه العلمي الغزير كان استاذا يملأ متطلبات الاستاذية في شمولية النظرة ودقة الملاحظة واستقراء وادراك الحقائق بفلسفة واعية متخذا من قدرته الفائقة على ربط الادلة والمؤشرات أي المتغايرات بما يخدم بناء الكل المعرفي وبخطوات متراتبة الواحدة تكمل الاخرى • ولم يهمل جانب المقارنة في التوصل الى التشخيص السليم ، الذي قلته من

اثراء معرفته المتمثلة في تطوير الموروث من المعلومات وابتكار الجديد منها مما يشكل اضافة الى المعرفة الانسانية .

وبعد ، فان مركز احيــاء التراث العلمي العربي يأمل ان يكون موفقا في تحقيق اهداف هذه الندوة في الكشف عن اسهام العرب في تطوير علم الطب من خلال الطبيب الرازي الذي يمثل ريادة طبية ضمن كوكبة الاطباء العرب ، والامل وثيق على ان يحقق ذلك حافزا جديدا لاطبائنا المعاصرين على مواصلة العطاء مع عطاء الاجداد .

وبهذه المناسبة يسر المركز ان يقدم اعتزازه الصادق بكل صيغ الدعم التي تقدمها وزارة التعليم العالي والبحث العلمي وجامعة بغـداد مما مكن من مواصلة العطاء المؤصل وبمساعدة كل العلماء الاخيار من داخل جامعة بغـداد وخارجها . كما يقدم المركز شكره وتقديره للتعاون الذي ابدته عمادة كلية الطب بجامعة بغـداد والله الموفق .

# التعريف بأبي بكـر الـرازي

الدكتـــور

كمـال الســامرائي

ابو بكر محمد بن زكريا الرازي اشهر اطباء المسلمين بعد ابن سينا ، ان لم يكن كل منهما ينازع الاخر على الانفراد بهذه السمعة الواسعة . وهو في نظر بعض المؤرخين المسلمين الاوائل طبيب المسلمين غير مدافع[1]، وجالينوس في نظر العرب سيد الاطباء اليونانيين فلقبوا الرازي بجالينوس العرب . وقد قيل ان الذي وضع قواعد الطب هــو امام الاطباء اليونانيين ابقراط ، اما الذي فسرها فهو جالينوس ، ولما تشتت الطب بعدهما جمعه الرازي ليكتبه بأبواب وفصول ابن سـينا .

وقال ابو داود سـليمان بن جلجل الاندلسـي ان الرازي طبيب بيمارستاني[2] ولسنا نرى افضل ما يمكن ان يوصف به طبيب ماهر من هذا الوصف المقتضب .

وقال شيخ اطباء المسلمين ابن سينا في حق الرازي : « هــو المتطفل الذي من شـأنه النظر في الابوال والبزاز . وقد صدق في ذلك لانه بلغ الغاية في المعالجات الطبية »[2] .

وابن سينا ند عظيم للرازي ، ومنافس جليل ، فما اكرمه في تقويم زميله الرازي الذي توفي قبله بنحو قرنين من الزمن .

ولد الرازي في الري بحدود سنة ٢٥٠ هـ/٨٦٤ م ، وينسب الى هذه المدينة على غير قياس ، وتوفي بحدود سنة ٣٢٠ هـ/٩٣٢ م . وكلا التاريخين مختلف فيهما بمبالغة في المصادر العربية والاعجمية على السواء . واكثـر الاحتمال انه عاش اكثر من سبعين سنة بخمس سنين او اكثر . واذا صح

انه تعلم الطب على الكبر[٤] او بعدسن الاربعين احتمالا ، لا في سن الثلاثين كما يذكر ذلك ايضا ، فيكون على هذا الحساب اكثر عطاء الرازي في الطب ضمن القرن الرابع الهجري ، لا الثالث الهجري كما يرى بعض الباحثين في هذا اليوم .

ويروى ان ابا محمد زكريا الرازي كان نصرانيا واسلم[٥] ، كما يروى انه ارتد عن الاسلام بعد ذلك[٦] . ويرى بعض المستشرقين ان هذا التذبذب ( ان صح وقوعه ) في عقيدة ( زكريا الرازي ) قد انحدر تأثيره الى ابنه ابي بكر محمد الرازي ، فانتحل افكارا خبيثة نقدت مؤهلات الاولياء والانبياء[٧] ، فلا يكون ، في نظره ، مراتب طهورية لا يحصل عليها غيرهم من البشر . كما عرف عن الرازي مهادنته للمانويين ورؤساء القرامطة. وعلى أية حال فان معلوماتنا قاصرة لنضع اسرة ابي بكر الرازي في المكان الاجتماعي والديني الذي كانت عليه يومئذ . وانقطاع نسب ابي بكر الرازي باسم ابيه لا ابعد من ذلك ، قد يدل على كونه من اسرة وضيعة او فقيرة الحال ، وربما لهذا الامر اضطر ابو بكر الرازي ان يعمل في باكورة عمره مأجورا ليكسب قوت يومه ، فعمل مرة في حانوت صراف لتبادل الفلوس ، ومرة اخرى في دكان صائغ حلى[٨] . ويتفق المؤرخون على انه كان يلهو أوقات فراغه بالغناء والضرب على اوتار العود[٩] . ويروى احد هؤلاء المؤرخين ان الرازي قتل خنقا باوتار عوده[١٠] . والارجح ان هذه الرواية لا اساس لها من الصحة ، ومثل ذلك ما لصق بالرازي من حكايات نشك في صدق اخبارها ، وقد هدف مخترعوها الى تجسيد مواهب الرازي الفكرية وعبقريته في ممارسة الطب ، في حين هو دون شك في غنى عن تخليد اسمه بهذا الاسلوب . وعظماء التاريخ دوما هدفا تنسج عليه الاخبار المثيرة .

ويذكر للرازي أخ وأخت ، الا اننا لم نقف على اسم أي منهما ، وقد يكونا توفيا قبل ان يصبح لهما شأن يستحق الذكر . اما ان اسم اخته كان (خديجة)[١١] كما ذكر ذلك بعض المستشرقين، فذلك اختلاق مرفوض.

ومعروف بالتأكيد ان الرازي درس المنطق وشارك في الفلسفة • فقد كان التقليد عهدئذ ان يكون الطبيب فيلسوفا •

وكان اليونانيون اول من عمل بهذا التقليد ، فمشى العرب على اثرهم، فكان اكثر الاطباء العرب الكبار من الفلاسفة • وقال احدهم ان ( الطبيب الفاضل فيلسوف ) ، وهي المقولة التي سبق ورددها جالينوس ، وهو يقصد بها ان الطبيب الفيلسوف لابد ان يكون ماهرا في ممارسة صناعته الطبية •

ويروى ان الرازي درس الفلسفة على ابي زيد البلخي(١٢) ، وربما اتصل بالحسين بن منصور الحلاج وتأثر ببعض افكاره الصوفية • كما تأثر بافكار الفلاسفة اليونانيين التي ترجمت كتبهم الى اللغة العربية في ايام حنين بن اسحاق العبادي • وقد ذكر الرازي تفكيره على نظريتهم في الخوالد الخمسة(١٣) ، وابتدع لنفسه فلسفة خاصة مست جلالة الباري عزوجل ، فاندفع بعض علماء الاسلام الى اتهامه بالالحاد ، وهي التهمة التي لا ينجو منها من يعمل بالفلسفة ، فشتمه معاصره ابو حاتم الرازي ، ثم من بعده حميد الدين الكرماني(١٤) وابو نصر الفارابي ، وابو رضوان المعري ، وابن ميمون القرطبي •

وقد حاول بعض المؤرخين المتأخرين ان ينفي عن الرازي صفة الالحاد الا ان ذلك جاء بعد فوات الوقت المناسب(١٥) •

وواضح ان الرازي قد افاد من القواعد الفلسفية على قدر ما تعني كلمة الفلسفة التي تهدف الى تقصي الحقيقة ، والكشف عن اسرار المعرفة • وقد طبق الرازي هذا المعنى في ممارسة الطب والبحث العلمي في مواضيعه بكيف ؟ ولماذا ؟ واين ؟ ومتى ؟ وما الى ذلك من التساؤلات التي تقود الباحث الى مكان الحقيقة • وعلى أية حال ، فان الرازي الفيلسوف ليس ندا أمام الرازي الطبيب •

ووجد الرازي ان الفلسفة وحدها لا تكفي لاعالته فشرع في تعلم صناعة الكيمياء التي رآها ضرورية للفيلسوف ، كما تخيلها موردا للعيش برخاء ، وهو يقول : ( لا اسمي الشخص فيلسوفا الا من كان علم صنعة الكيمياء ، لانه حينئذ قد استغنى عن التكسب من اوساخ الناس ، وتنزه عما في ايديهم، ولم يحتج اليهم)[١٦] ، فتحول بهذه الفكرة الى تعلم صناعة الكيمياء ، واتقنها حتى صار من اوائل الكيميائيين العرب البارزين • وقد تكون الفكرة في تعلم هذه الصنعة جاءته حين كان يرقب ذوبان المعادن الرخيصة والثمينة في دكان الصياغة التي عمل بها مدة ، او اطلاعه هو في ذلك الوقت المبكر على افكار الكيميائي جابر بن حيان المتوفي قبله بما يزيد على القرن ، هو السبب المباشر لاجتذاب الرازي لدراسة هذه الصنعة •

وينسب ابو الريحان البيروني المتوفى بعد الرازي بنحو قرن ، سبعةعشر كتابا في الكيمياء للرازي ، والبيروني المذكور أول من جرد بتفصيل مؤلفات ابي بكر الرازي • ومن الاجحاف بحق الرازي ان يوصف بالسيميائي المشعبذ، فهـو بعيد جدا ان يكون قد احتال او جرّب بفكرة راسخة تحويل المعادن الرخيصة الى معادن غاليـة •

وابو بكر الرازي على اية حال ، اول عربي درس المواد الكيميائية بتفكير علمي ، وطرق تجريبية قريبة الى حد ما بما يعمل بهما في الوقت الحاضر • كما انه اول من ادخل المواد الكيميائية بين مفردات الادوية الطبية لعلاج الامـراض •

وقـد رمدت عينا الرازي بمرض الساد ( الكاتاراكت ) ، فألح عليه اصحابه ان تعالج بالقدح ، فلما رضخ للنصيحة وحضر الطبيب أمامه ليقدح عينيه ، اراد الرازي أن يمتحن كفاءته في علاج امراض العين ، فسأله عن طبقاتها فلم يعرفها فدفعه الرازي عنه وهو يقول لا يداوي عيني من لا يعرف طبقات العين •

وقد انفرد ابن العبري برواية هذا الخبر[١٧] ، ويمكن تصديق هذه الرواية بلا تردد لما عرف عن ابي بكر الرازي اهتمامه بعلوم الطب الاساسية وبخاصة علم التشريح . وفي رواية أخرى ان الرازي رفض فكرة معالجة عينيه من الاساس قائلا : رأيت من الدنيا ما يكفيني ، ولا اريد أن ارى اكثر من ذلك[١٨] .

وفي رواية ثالثة ان احد الاطباء الكحالين طلب من الرازي خمس مئة دينار لمعالجة عينيه ففزع الرازي واستكثر المبلغ الذي طلبه الطبيب ، وقال لنفسه هذه ( يقصد صناعة الطب ) هي الكيمياء ( أي مصدر الثراء )[١٩] فنزع الى دراسة الطب وثابر في متابعة قراءة كتبه والبحث في علومه حتى صار علما من اعلامه في العصور الاسلامية الاولى كما سنرى فيما يأتي :

كانت الري عاصمة بلاد الجبال في ايام نشأة الرازى اكبر الحواضر الاسلامية بعد بغـداد ، ومن اكثرها غناء بالعلماء من الاطباء والفقهاء من مختلف النحل الاسلامية وغير الاسلامية ، غير انها في الوقت نفسه لم تكن مستقرة اجتماعيا ولا سياسيا ، فهي مهددة بهجمات المغول من الشمال ، وبقوات الغزنويين من الجنوب ، اضافة الى الخلافات العقائدية الحادة بين طوائف المسلمين ، وهي حالة ليس لها مثيل في بغـداد عاصمة العباسيين ، ومعقل العلماء والاطباء فقصدها الرازي وراء تعلم الطب . ولامر ما دخل احد مستشفياتها الذي كان على الارجح البيمارستان المعتضدي أو المقتدري ، او بيمارستان أم المقتدر ، فأثارت انتباهه قوارير الاشربة الطبية وموادها العشبية التي تملأ رفوف صيدلية ذلك المستشفى[٢٠] ، فتساءل مع نفسه وهو الفيلسوف الذي يطلب اسرار الحقائق والظواهر ، عن سبب الامراض والاجساد المشوهة التي كان يشكو منها من يدخلون المستشفى للمعالجة . وكانت هذه بداية اندفاعه الى تعلم صناعة الطب بجد واهتمام . ولا نعرف على وجه الدقة من كان شيخه من اطباء ذلك المستشفى ، وقد يكون ثابت بن قرة الحراني ، او ابنه سنان بن ثابت ، او غالب طبيب المعتضد ، بحكم

وجود هؤلاء او احدهم في ذلك المستشفى ، استاذ الرازي في تعلم الطب . واي كان الامر ، فان قراءات الرازي الواسعة في المؤلفات الطبية وذكائه ، وقوة ملاحظته على تطور الامراض واعراضها ، ومتابعة تأثير الادوية على دوراتها ، كانت هذه جميعا معلمه الاول ، ان لم تكن كل معلميه معا . اما ان الرازي تعلم الطب على ابي الحسن علي بن ربن الطبري[٢١] ، فذلك وهم افتضح غلطه تأريخيا ، لان ابن ربن الطبري قد توفى في ايام الخليفة المعتصم ( ٢٢٧ هـ/٨٤٢ م ) ، وكان الرازي يومئذ بعمر لا يمكن ان يدرك فيه اي علم من العلوم ، كما ننفي بالطريقة نفسها ان يكون الرازي قد اختاره عضد الدولة البويهي لادارة المستشفى الذي اسمه باسمه في بغداد . على اننا ملزمون ان نذكر تحفظا ، احتمال ان عضد الدولة لم يكن مؤسسا لذلك المستشفى ، بل هو الذي أتم عمارته التي بدأ انشاءها الامير بجكم التركي[٢٢] الذي تولى رئاسة الامراء ببغداد قبل ان يدخل البويهيون هذه العاصمة في ايام الخليفة المطيع المتوفى سنة ٣٦٣ هـ/٩٧٤ م . فعلى هذا الاحتمال فان ابا بكر الرازي قد عمل في ( مستشفى بجكم ) الذي نسب بعدئذ الى الذي اتم انشاءه وهو عضد الدولة البويهي .

ولما اشتهر الرازي طبيبا ناجحا في علاج المرضى ، وصلت اخباره الى الري فاستدعاه والي السامانيين عليها منصور بن اسحاق ليدير مستشفى هذه المدينة . وربما عاد الرازي بعد ذلك الى بغداد ، على أن دخوله الى بغداد مرتين غير واضحة ولا موثقة في كتابات المؤرخين . ومما يستدعي الانتباه بعجب ، ان الرازي كان في تلك الحقبة قد ملأ الاسماع طبيبا ناجحا في بغداد وفي بلاد الجبال بشرق ديار العجم ، ومع ذلك لم يعرف عنه كثرة التنقل بين المدن ليلبي طلبات الامراء واعيان الناس . كما لا نعرف حاضرة كبيرة أمها الرازي باستثناء مدينة الري ، وهي مسقط رأسه ، ومدينة بغداد وهي عاصمة الاقطار الاسلامية . ونشك أن يكون كبرياؤه سبب هذا الانعزال .

يستدل من كتابات الرازي الكثيرة ، ومن سيرته الذاتية التي نشرها كراوس باسم ( في السيرة الفلسفية للرازي ) ، وهي دون شك جزء من كتاب ( من سيرته ) لا كله — ان طبيبنا الرازي كان كثير القراءة والكتابة ، ولا يمل ولا يكل من متابعة ما كتب في المعرفة الطبية مما ادى ذلك الى الشكوى من ضعف بصره كما اشرنا الى ذلك فيما تقدم ، كما ادى الى تصلب وتشنج انامله لكثرة ما كان يشد بها على اقلام الكتابة ، فاضطر الرازي بهذه الحالة الى ان يتخذ لنفسه من يعاونه في النسخ والكتابة .

ولم يعن احد من الباحثين الى الآن للتفريق بين الكتابات التي خطها الرازي بيده وبين الامالي التي أملاها على من كتب له تلك الكتب .

والرازي مثال الباحث العلمي بمتابعة دورات الامراض ، ودراسة استجابتها للمعالجات المختلفة الأنواع ، وتثبيت نتائج تجاربه السريرية بالضوابط . كما انه كان دقيق المعاني ، وناقلا أمينا حين يأخذ عن مصادر مؤلفاته ، أو ما يسمعه من زملائه . ولا ينسى قط أن يشير الى المؤلفات التي ينقل عنها في كتبه ، فيذكر مصدرها باسم المؤلف وعنوان كتابه ، وربما بالفصل او الباب الذي اخذ عنه ، وهو يفصل ذلك بكل تقدير وثناء .

وابو بكر الرازي طبيب سريري لا يبارى في هذا الميدان ، كما هو استاذ قدير في تعليم الطب ، والكتابة في اصول تعليمه . وكتابه ( المرشد أو الفصول ) خير دليل على ذلك . وكان يزدحم الطلاب في حلقة دروسه بحسب تواريخ التحاقهم بتلك الحلقات[٢٣] ، ويعرض امامهم المرضى ليستجوبوهم عن سبب شكاواهم ، وبالتالي لتشخيص امراضهم ، فاذا عجزوا عن معرفة امراضهم وطريقة علاجها دخل فيما بينهم ليقول في ذلك كلمته الفصل . الا اننا مع الاسف لم نقف على اسماء اولئك التلاميذ الا على أثنين منهم ، وهما يوسف بن يعقوب وابو بكر قارن الرازي . وتاريخ هذين التلميذين ودورهما في الطب غير معروف ايضا .

والرازي يدعو دوما الى قراءة كتب السلف ، وتاريخ اعمالهم وتطور الطب على ايديهم ، قال الرازي ليؤكد اهمية قراءة تاريخ صناعة الطب :

( هذه الصناعة اذا لم يحتذ بها على مثال من تقدمه ، ان يلحق فيها كثير شيء ، ولو افنى جميع عمره فيها ، لان مقدارها اطول من مقدار عمر الانسان بكثير . وانما ادرك من أدرك من هذه الصناعة الى هذه الغاية في آلاف من السنين الوف من الرجال ، فاذا اقتدى المقتدى اثرهم صار ادركهم كلهم في زمان قصير ، وصار كمن عاش تلك السنين )[٢٤] . وعلى هذا الاساس كان الرازي ينصح تلامذته ان يكثروا جمع الكتب الطبية ، ويعملوا لانفسهم كتابا يدنون فيه كل ما يجدونه جديدا عليهم ليرجعوا اليه في التأليف وممارسة الصناعة[٢٥] ، على ان الرازي اشار في الوقت نفسه الى أهمية التجربة ومتابعة سير المرض ، فالنقص في التجربة برأي الرازي لا تعوضه كثرة المعلومات النظرية[٢٦] . كما يوصي الرازي تلاميذه ان يهدفوا الى ابراء مرضاهم اكثر من نيل اجورهم منهم ، ويعالجوا الفقراء بمثل الاهتمام والعناية التي يعالجون بها الامراء والاغنياء[٢٧] . وان يوهموا المرضى بالشفاء حتى لو كانوا هم انفسهم لا يعتقدون بذلك . فأن مزاج الجسم يعتقد الرازي تابع لاخلاق النفس[٢٨] .

وفي معالجة المرضى يبدأ الرازي بالاغذية ، والا فبالدواء المفرد ، وما هو متوفر منها لا النادر والبعيد المنال .

وينصح الرازي المرضى ان يقتصروا على استشارة طبيب واحد ، وقال : ( من تطبب عند كثيرين من الاطباء يوشك ان يقع في خطأ كل واحد منهم[٢٩] وفي كتابه ( محنة الطبيب ) وضع تعليمات للمرضى في اختيار اطبائهم حتى لا يقعوا ضحية بايدي الاطباء الجهلة والدجالين .

وكتابات الرازي موضوعية ومقتضبة ، الا انها واسعة المعاني وعميقة ، ولا يدخل فيها من كليات الطب الفلسفية الا ما يحقق الفائدة المضمونة في التطبيق . والرازي ، دون شك ، أول من كتب من الاطباء العرب في القواعد الطبية بشكل متكامل في التشخيص والعلاج . ومبادراته وابتكاراته هي الاساس الذي ارتفع عليه صرح الطب العربي فيما بعد .

والرازي كثير التأليف في كتب الطب ، فله اكثر من خمسة وثلاثين ومئة كتاب ، وقيل اكثر من ذلك بمئة كتاب أخرى ، وجميعها باللغة العربية وأكثر من نصفها في العلوم الطبية وحدها ، من بينها كتب ضخمة ، ومن هذا الضرب موسوعة الحاوي التي طبعت في حيدرآباد بثلاثة وعشرين مجلدا أما الطبعة العبرية من هذا الكتاب فبخمس وعشرين مجلدا وقد تكون هذه الزيادة منقولة عن الترجمة اللاتينية لكتاب الحاوي التي عملها سالم فرجو الجرجيني للحكام النورمانديين بجزيرة صقلية . وقد اخذت هذه الترجمة لسعة اصل الكتاب دهرا طويلا من عمر المترجم سالم فرجو .

ولهذه الترجمة طبعات كثيرة لحاجة مدارس اوربا الى مادتها الطبية ، وقد بقيت في التداول بايدي المتعلمين والعلماء حتى القرن السابع عشر .

وكتاب الحاوي أضخم كتاب طبي عربي وصل الينا كاملا ، وهو مازال منجما غنيا بالمعلومات الطبية لم يسبر غوره ولم يدرس بدقة وتأصيل لكثرة ما تضمنه من اسماء الادوية وصيدلية تركيبها ، واسماء الاطباء من العرب وغير العرب الذين اخذ من مؤلفاتهم في هذا الكتاب ، ولضخامة كتاب الحاوي بهذا الشكل الواسع لم يقرضه طبيب من الذين اعقبوا الرازي . اما ابن التلميذ وابن رشد وابن باجة فقد حاول كل منهم اختصاره ، ولكنهم فعلوا ذلك دون شرح او تعقيب . وليس لكتاب الحاوي ذكر في مؤلفات الرازي الاخرى الكثيرة ، وعلى العكس من ذلك ذكر كتابه الجامع الحاصر لصناعة الطب الذي قيل انه يضاهي كتاب الحاوي حجما ومضمونا ـ ذكر هذا الكتاب في اكثر من كتاب وعدد من كتبه الاخرى . وقد يكون هذا دليلا على ان كتاب الحاوي في ايام الرازي لم يكن الا مدونات على اوراق متفرقة ، ربما اعده الرازي مشروعا لكتاب ، أو هي مذكرات وضعها لنفسه يرجع اليها وقت الحاجة . فجمعت هذه الاوراق بتوجيه من ابن العميد ، وصنفت بحسب مواضيعها من قبل تلاميذ

الرازي أو المعجبين بشخصيته وطبه ، فكان منها كتابا أسموه ( الحاوي في الطب ) • وقد يكون هذا الكتاب هو نفسه كتاب الجامع الحاصر الذي ذكرناه آنفا • وكثير من الباحثين يعتقدون انهما كتابا واحـدا بأسـمين مختلفين ، ولا نعرف في الوقت الحاضر الا الكتاب المعروف بأسم الحاوي وهو المطبوع بحيدرآباد ـ الدكن •

وكتاب الحاوي بمنظور عام مؤشرات في علاج الامراض بالادويـة والاغذية على ان فيه شروحا لحالات سريرية غير قليلة لم يستطع الرازي ان يتحاشى ذكرها باعتبارها ذات علاقة بالادوية التي وردت في سياق بحثه •

وفي اجـزاء كتاب الحاوي المطبوع مجلدة ضخمة كرسـها الرازي للاوزان والمكاييل التي كانت مستعملة في ايام الرازي •

والجدير بالذكر ان اجزاء موسوعة الحاوي بالمجلدات الثلاثةوالعشرين المطبوعة في حيدرآباد. هي التي تناولت الطب العلاجي • وليس فيها الا اليسير جدا عن كليات الطب وعلومه الاساسية ، وهـذا ما اعابه علي بن العباس المجوسي على مؤلفه ابي بكر الرازي • ويبدو ان المجوسي هذا لـم يطّلع على القسم الذي خصصه الرازي من كتاب الحاوي للعلـوم الاساسية والسريرية في الطب • ومخطوطة هذا الكتاب محفوظة بمكتبة ويلكم بلندن ولم تحقق بعد[٢٠] •

ومن كتب الرازي النفيسة التي حملت اسم الرازي الى مراتب اكابر الاطباء ، هو كتاب ( المنصوري ) الذي رفعه الى صديقه منصور بن اسحاق والي السامانيين على الري • والكتاب صغير الحجم ، الا انه كبير المحتوى بمقالاته العشر التي ضمنها ما يكفي الممارس عن كليات الطب والادوية المعتمدة واسباب الامراض وطرق مداواتها • وقد انتشر الكتاب لصغر حجمه وحسن تنسيقه وتحديد مواضيعه في الطب وحده ، وطغى على كتاب فردوس الحكمة لابن ربن الطبري حين كان الكتاب الطبي الوحيد بايدي طلاب المعرفة قبل ظهور كتاب المنصوري •

ويؤكد المستشرقون ان ابا بكر الرازي أول طبيب وصف الجدري والحصبة بدقة وشمول ، ويعتبرون كتابه في هذين المرضين اللؤلؤة اللامعة بين درر مؤلفاته الكثيرة . وقد ضمن الرازي هذا الكتاب القيم الفروق السريرية بين هذين المرضين ، التي لايزال بعضها معمولا به في التطبيق في الوقت الحاضر .

وللرازي كتاب آخر ذو قيمة علمية وتأريخية ، ذلك هو كتاب (الشكوك على جالينوس ) ، وجالينوس كما هو معلوم يومئذ سيد العارفين في الطب، ومع ذلك نقده الرازي بثقة واقتدار في كتابه المذكور الذي ضمنه ثمانية وعشرين خطأ علميا وقع فيها جالينوس . كما نقد ما في كتاب البرهان لجالينوس في عمل العين في الابصار ، وتكيف حدقتها في حالتي النور والظلمة .

وفي هذه النقود وغيرها لا يهمل ابو بكر الرازي لغة المجاملة والادب العلمي والاجتماعي التي تقتضيها الزمالة والمواقف العلمية .

وللرازي ستة كتب في علمي التشريح والفسلجة فذكرها اشارة فقط لنعزز ما اشتهر به هذا الطبيب العظيم من الاهتمام بهذين العلمين اللذين هما دون ريب اساس الطب نظريا وعمليا .

وكان من شأن الرازي في امتحان الاطباء ومن يتخرجون عليه أن يسألهم اولا في تشريح الجسم فاذا فشلوا في الاجابة فيه ، فلا يسألهم في الطب السريري لان فشلهم في هذا الموضوع لا يشفع لهم في النجاح حتى لو نجحوا في العلوم السريرية .

وللرازي ابتكارات في الطب بنوعيه النظري والعملي شاركت كثيرا في افضال العرب على الانسانية في ميدان الطب والتطبيب ، وصور الرازي المعلقة على جدران قاعات الدروس في كليات الطب الاوربية ستبقى تذكر طلبة العلم في تلك الكليات ان الطب الذي يتعلمونه كان مبدأه من صنع هذا الطبيب العظيم وأمثاله من الاطباء العرب .

## الهوامش

( ١ ) ابن صاعد الاندلسي ـ طبقات الامم ، تحقيق شيخو ، ص ٢٢ .
( ٢ ) ابن جلجل الاندلسي ـ طبقات الاطباء والحكماء ، تحقيق فؤاد سيد ، ص ٧٧ .
( ٣ ) الشهرزوري ـ نزهة الارواح وروضة الافراح ، حيدرآباد ـ الدكن ص ٧ .
( ٤ ) ابن ابي اصيبعة ـ عيون الانباء في طبقات الاطباء ، تحقيق نزار رضا، ص ٤١٤ ، الصفدي ـ نكت الهميان ، ص ٢٤٩ .
( ٥ ) صلاح الدين الصفدي ـ نكت الهميان في نكت العميان ، ص ٢٤٩ .
( ٦ ) المصدر المتقدم .
( ٧ ) ابن ابي اصيبعة عن صاعد الاندلسي ـ عيون الانباء ، ص ٤١٦ .
( ٨ ) الشهرزوري ، ص ٧ .
( ٩ ) ابن ابي اصيبعة ، ص ٤١٩ .
(١٠) المصدر السابق .
(١١) هونكة ـ شمس العرب تسطع على الغرب ، ترجمة بيضون و د. شوقي ص ٢٤٨ .
(١٢) ابو زيد البلخي ـ فيلسوف عربي اسمه احمد بن سهل ، من مواليه بلخ ، وله تاليف في الفلسفة والتاريخ والسياسة ، وقد توفي سنة ٣٢٢ هـ/٩٣٤ م .
(١٣) الخوالد الخاسة هي : الله ، والزمان ، والمكان ، والنفس ، والخواء .
(١٤) الطب الروحاني لابي بكر الرازي ـ تحقيق عبداللطيف العبد ص٥ ، ص ٦ .
(١٥) ابن العبري ـ مختصر تاريخ الدول ، تحقيق شيخو ، ص ١٥٦ .
(١٦) ابن ابي اصيبعة ، ص ٤١٩ .
(١٧) المصدر المتقدم ، ص ٤٢٠ .
(١٨) المصدر المتقدم .
(١٩) الشهرزوري ـ نزهة الارواح ، ص ٧ .
(٢٠) ابن ابي اصيبعة ، ص ٤٢٥ .
(٢١) المصدر السابق ، ص ٤١٤ .
(٢٢) احمد عيسى بك ـ البيمارستانات في الاسلام ، ص ١٨ .

(٢٣) ابن ابي اصيبعة ، ص ٤١٦ .
(٢٤) البير اسكندر ـ الرازي ومحنة الطب .
(٢٥) الرازي ـ المرشد او الفصول ـ تحقيق البير اسكندر ، ص ١٢٤ .
(٢٦) المصدر السابق ، ص ١١٩ ، وابن ابي اصيبعة ، ص ٤٢١ .
(٢٧) المصـــدر الاول .
(٢٨) ابن ابي اصيبعة ، ص ٤٢٠ .
(٢٩) المصـــدر السابق ، ص ٤٢١ .
(٣٠) مكتبة ويلكم بلندن ، رقم المخطوطة ١٢٣ .

# الرازي ـ استاذ الطب السريري ـ

الدكتــــور
خالــد ناجــي

يسجل ظهور الرازي محمد بن زكريا بداية التطـور الحقيقي للطب العربي بالقياس الى الملابسات التي رافقت نقل الطب اليوناني الى العربية ، كما رافقت الممارسات الطبية التي تصدرها اطباء جنديسابور • وقد وصل الطب العربي على يد الرازي القمة من حيث كونه مهمـة انسانية علمية انعكست ابعادها في شخصية الطبقات الدنيا ، وطوّره بتجاربه وتعاليمه التي تشكل اليوم ركائز الطب السريري في الوقت الحاضـر حيث تسلم التشريح والفسلجة والباثولوجيا من الضالة بشكل لا تعتبر فيه علما حقيقا ، ولكنه استطاع ربطها بعلمه وتجاربه الحية على السرير ، ذلك الربط الذي لا يزال الطب الحديث جاريا عليه باعتباره قاعدة لعلم الطب السريري •

وهكذا تركها واثره في جميـع ابعادها ذو قيمة كبيرة معتمدا على تجاربه الخاصة على الحيوانات وتشريحها بعد تعذر تشريح الانسان معتقدا ان الطب يدرس باعتباره كائنا حيا ينمو وينبو • مشترطا توفر العوامل التالية في الطبيب :

- التخصص في الطب في سن مبكرة لاتاحة فرصة مشاهدة اكبر عدد من المرضى والوقعات المرضية وخاصة النادرة منها ، وذلك بملازمة المستشفى، اذ كلما زادت خبرة الطبيب ازدهرت مهنة الطب • تلك المهنة التي يجب على من يتخذها صنعة له ان يعتبرها هواية لانها تسمو بالنفس البشريـة وتغرس الفضيلة فيها •

- اعتبار ان العمر لا يكفي لمشاهدة كل الوقعات المرضية ، لـذا اوصى بالاعتماد على خبرة الاخرين من مشاهير العلماء والاطباء بدراسة ما يكتبون والاكثار من المطالعة والتتبع والتنقيب والنقاش مع الاساتذة والتلاميذ على حد سواء والاكثار من السؤال وعدم التردد في معرفة ما يتعذر فهمـه •

- اسـتخدام المريض ككتاب يقرأ يوميا وباستمرار للوقوف على الاعراض التي تعتريه اثناء المعالجة وبعدها ودراسة ردود الفعل عليه •

اعتبار التلميذ اثناء الدرس والمناقشة خير مدرس ، وذلك بالمناقشة السريرية ودراسة المرض على المريض نفسه لتتاح له فرصة الاطلاع من خلال اسئلة الطلاب واستفساراتهم على ما فاته مشاهدته في تلك الحالات .

العمل على غرس الفضيلة في نفوس الطلاب لتكون خير معين لهم على الابتعاد عن الدجل ، فالاستاذ الذي لا يستطيع ان يغش المريض امام طلابه يكون غرس الفضيلة في نفس تلميذه وينمي فضيلته هو على يد طلابه .. وبهذا يكون قد علّم وتعلم في آن واحد .

بمثل هذه الطريقة استطاع الرازي ان يصل بعلم الطب العربي الى الذروة في ذلك الوقت ، وفرض على من تبعه الاخذ بنظرياته ودراسة كتبه وتتبع آثاره في اوربا حتى القرن السابع عشر .

## نبــذة عن حياة الرازي وتحصيله

ولد ابو بكر محمد بن زكريا بن يحيى[١] الرازي[٢] في مدينة ( الري ) سنة ٢٥٠ هـ/٨٦٥ م أي بعد قرن من ولادة الرشيد فيها في عهد الدولة العباسية الثاني وقد دفن فيها عام ٣٢٠ هـ/٩٣٣ م[٣] . اشتغل اول أيامه بالصيرفة حتى ان أول كتبه كان يحمل اسم محمد بن زكريا الصيرفي . بخط يده[٤] . وقد درس الفلسفة على يد ابي زيد البلخي[٥] ، واهتم بالفلسفة الافلاطونية وقراءة كتبها كما درس نظرية ديمقرطس الذرية وايدها حيث خالف رأي ارسطوطاليس[٦] فيها ، ثم اشتغل في صناعة الكيمياء[٧] حتى رمدت عيناه من أبخرتها فاستهوته صناعة الطب عند مباشرته بمعالجة رمده[٨] .

( ابو الحسن علي بن سهل بن ربن الطبري )[٩]

وفي ذلك الوقت كان في الري ابو الحسن علي بن سهل بن ربن الطبري من اسرة العلماء بمدينة (مرو) حيث اشتهر بتدريسه الفلسفة والطب وبالاستقامة وعزوفه عن جمع المال فعينه المازيار أمينا للخزانة في طبرستان في بلاد فارس

ولما خرج المازيار على المعتصم هرب الطبري الى مدينة الري حيث عكف بداره على تأليف كتابه ( الجامع في الطب ) ليكون مرجعا لمن يتخذ الطب مهنة له ، غير ان ظروفه لم تسعفه لاتمام كتابه هذا ، خاصة بعد أن استدعاه الخليفة المتوكل ودخل بغداد حيث اسلم ، فانخرط في خدمة الخليفة . وفي هذه الفترة انجز كتابه الفريد ( فردوس الحكمة ) وكان يعرف اليونانية والسريانية[١٠] .

وفي المدة التي كان فيها الطبري لاجئا في الري كان الرازي مبتدءا في دراسة الطب . ولتقارب الصفات الشخصية وحب العلم ازدادت الالفة بين الاستاذ وتلميذه ، ولاسيما ان الرازي كان ملما بعلوم الفلسفة والفيزياء والكيمياء والادب اضافة الى مواهبه الفنية الاخرى كالشعر والموسيقى والغناء[١١] . فاستحسن الطبري في تلميذه هذه المواهب وخاصة الموسيقى التي كان يعشقها[١٢] . ولسهولة تدريس الرازي اصبحت بينهما رابطة قوية مكنت الرازي من الافادة من علوم استاذه الغزيرة[١٣] ، والوقوف على منابع العلم دون الرجوع الى التراجم والوقوع باخطائها ، وربما كانت لهذه الالفة الفضل في تأليف كتابه ( الحاوي ) أسوة باستاذه الطبري في اخراج كتابه ( فردوس الحكمة ) ، وقد اخذ عنه ان الفضيلة « تربى وتزرع » .
وكان الرازي لا يؤمن بوجود الفضيلة غريزيا متمسكا بآراء افلاطون[١٤] ، ولكنه يعلم انها تغرس وتنمو كالعلم ينمو مع الزمن .

مكث الرازي في الري بعد مغادرة استاذه لها واستمر في جمع مشاهداته الخاصة في المستشفيات والدراسة على طريقة التثقيف الذاتي[١٥] . ثم رحل الى بغداد ودرس على يد ابن ماسويه[١٦] . وكان حينذاك قد وصل الى مرحلة متقدمة من الثقافة الطبية وغيرها[١٧] . وكان يقضي كل اوقاته في المستشفيات لتسجيل ملاحظاته ومشاهداته عن المرضى اذ لم يكن يكفي روحه العلمية بناء طبه على تشريح بسيط وفسلجة عقيمة وباثولوجيا خيالية[١٨] ، لانه يرى ان العلم الناقص هو اخطر من الجهل الكامل فكان يقرأ بكثرة

ويعلق على الكتاب ويضيف اليه من مشاهداته[١٩] ، وكان الرازي عفيف النفس محبا للفقراء الذين لقوا منه العناية الكثيرة ويمكن القول : ان رجال السلطة لم يستفيدوا من طبه قدر استفادة الشعب منـه ، وهذه تتمثل في بعض الكتب التي الفها للشعب ككتابه ( من لا يحضره الطبيب ) الذي عرض فيه العلاجات التي يمكن للفرد ان يجريها بنفسـه في حالة غياب الطبيب ، وللرازي كتاب آخر في الغرض نفسه سماه ( برء الساعة ) يحتوي على علاجات سريعة يمكن استخدامها في بعض الحالات ( وان كنت اشك في بعض الفقرات التي احتواها هذا الكتاب لما فيها من مجازفات ومبالغات لا تتناسب مع منهجه العلمي وقد تكون مقحمة على الكتاب ) . وهكذا خلق وعيا صحيا بين عامة الناس . وعندما اشتهر الرازي في الري استدعاه الخليفة المعتضد بالله ليتولى الاشـراف على مستشفيات بغـداد حتى صار كبير اطباء المدينـة للمـدة ٩٠٨ــ٩١٢ م[٢٠] . عاد بعدها الى مدينة الري حيث تطبب عليه صغار الملوك السامانيين[٢١] الذين اشتهروا بالعدل ورعايتهم للعلوم .

وقبل وفاته بعامين أصيب بالعمى ولم يمنعه من مزاولة هوايته اذ سخّر من يقرأ له ويكتب ما يملي عليه[٢٢] .

ولدينا ما يشير الى ان الرازي عرف اللغتين السريانية واليونانية[٢٣] .

انتهت حياة الرازي بعد عمـر تجاوز الثمانين عاما[٢٤] ترك خلالها ٢٤٦ كتابا ومقالة صنفت تصنيفا علميا[٢٥] ، وتداول الاطباء تعاليمه وكتبه لفترات طويلة[٢٦] من الزمن ، فقد درس ابن سينا علوم التشريح على طريقته وكذلك الزهراوي في كتابه التصريف[٢٧] .

بدأت ترجمة كتب الرازي الى اللاتينية عام ١٢٢٨م من DAVID JEW ؛ [٢٨]

واخذت تدرس في جامعات اوربا كافة وتعتبر مرجعا للتشريح[٢٩] .

وكان النصيب الاوفر لكتابة المنصوري خلال القرن السابع عشر حيث طبعَ عدة مرات في كل من ميلانو وفينيسيا وباسل وليون وبادوا[٣٠] . وقد استمرت جامعات اوربا تعتمد على طريقة الرازي السريرية في التدريس بمستشفياتها[٣١] .

اشهر كتبه الطبية هو الحاوي الذي يقع في عشرين مجلدا ، ويعـود الفضل في اخراجه الى حيز الوجود الى ابن العميد[٣٢] الذي سعى للوقوف على مخلفات الرازي بعد وفاته فطلب الى شقيقة ابي بكر عرض ما لديها من مسودات ومخطوطات وقد بذل لها مالا كثيرا في سبيل كسر تمنعّها ، وعندما تم له ذلك جمع تلامذة الرازي الذين كانوا يلازمونه بالري وعملوا جميعا على ترتيب الكتاب بشكل لم يخل من الاضطراب[٣٣] . وتمت ترجمته الى لغات عديدة . وقد قدم لنا GREEN HILL طبعة ممتازة عام ١٨٤٨ من هذا الكتاب الذي جمع فيه ما يستطيع الطب وصفه في عصره فكان أمينا على تدوين المعلومات ومصادرها واسماء الأطباء[٣٤] الذين نقل عنهم على الرغم من علمه بوجود اشياء لا أظن انه يعتقد بصحتها وقد تكون من المحرمات ولكنه ربما ذكرها مع مصادرها حفظا للامانة[٣٥] .

## طريقـة تدريسـه

تأتي طريقة تدريسه للطب من اقواله التي جاء فيها : « من لم يعن بالأمور الطبيعية والعلوم الفلسفية المنطقية يكون مشكوكا في علمه لا سيما صناعة الطب »[٣٦] . هذا بالاضافة الى ايمانه المطلق ان المجتمع بما فيه علم الطب كائن حي[٣٧] فهو في نمو مستمر وان الانسان في قرارة نفسه مرآة ماضيا يضاف اليه ذلك النزر اليسير الذي ينميه قرنا بعد قرن . هكذا يدعوا الى الاستمرار بالتعلم لا يهمه ماذا يتعلم طالما يتعلمه باتقان[٣٨] ، واضعا نصب عينيه الطريق قبل الغاية[٣٩] مستغلا جميع علومه للتعليلات الفكرية والمنطقية للاغراض المرضية التي يطلع عليها خلال مشاهداته الطبية[٤٠] .

كان عامل الوقت في مهنة الطب عنده مهما جدا . اذ يقول : « ان الاطباء يحرزون مهارة عظيمة اذا قرنوا منذ الحداثة بدرس الطب ومعالجة عدد وافر من شر الحوادث المرضية واختبروا في اشخاصهم كل انواع المرض »[٤١] . فاختيار الطالب منذ حداثة السن يفسح المجال امامه لمشاهدة الوقعات وتعويده

على المثابرة في المستشفيات ، وقد حرص على ان يغرس الفضيلة في نفوس طلابه ليدفعهم بذلك الى التعلم والتعليم بعيدا عن الانانية . وكان يشجعهم على هواية الموسيقى او الغناء لقتل النزعات[٤٢] التي تعانيها النفس والتمسك بالصبر والاخلاق الفاضلة .

اما تدريسه فيأتي على نوعين : كلاهما سريرين من حيث المبدأ النظري والعملي .

**التدريس النظري :**

يتم هـذا بأسلوب نقاش علمي يجمع الطلبة على ثلاث حلقـات[٤٣] اقربهم اليه انضجهم علما وخبرة ويليه الصنف الثاني ممن هم اقل خبرة ثم الصنف الاخير الذي يضم المستجدين فيقرأ عليهم ويفسـر لهم ويناقشهم ويصغي الى حوارهم مجيبا على اسئلتهم وكلما توسم نباهة بأحدهم قدمه الى حلقة اقرب[٤٤] . فكان يهدف في الوقت ذاته الى تعويدهم الاعتماد على النفس وذلك بترك الصف المتقدم يقرأ ويشرح للصفوف الاخرى من كتب الاستاذ وغيره ، وبهذه يجعلهم يهضمون الموضوع هضما وافيا .

وانا ارجح ان الطالب يبقى يتعلم معه على هذه الحالة مدة ثلاث سنوات أي أنه يمضي سنة في كل حلقة .

وكانت الدروس النظرية تشمل :

**١ ـ علم التشريح :**

ويوليه أهمية كبيرة حيث يقول : « لاتستطيع ان تفهم أية عضو ما لم تعرف طبقاته[٤٥] . ورغم ما يعترض هذا الدرس من عقبات دينية تحرم[٤٦] تشريح الجثة في ذلك العهد ، فقد حاول ابن ماسويه تشريح جثة ولده الذي اصيب بالبلادة منذ حداثته ليقف على اسبابها مثلما كان يفعل جالينوس في تشريح من تستوجب حالته المرضية لكنه خشى بطش الخليفة[٤٧] بمخالفته لاحكام الدين . لذا اعتمد الرازي على التشريح المحـدود لجالينوس ، واضاف اليه من خبرته في تشريح الحيوانات[٤٨][٤٩] ومشاهداته في حياته

العلمية فأوثق الصلة بين الطب والتشريح ويجسد ذلك قوله : « اذا ما حدثت آفة في حس اللسان وذوقه فهو من الزوج الثالث من ازواج العصب واذا كانت الافة في حركته ففي السابع »(٥٠) .

وقوله عن الثرب : وربما يقصد البريتوان بصورة عامة بما فيها الثرب :

« اما الحجاب الباطن الذي هو الثرب فلا يمكن ان ينصب تحته الماء دون ان يحدث فيه ضربا من التآكل لان الغشاء منفصل في جميع نواحيه لا جوف فيه ولا ثقب ولا يمكن ان يدخل فيه شيء من عضو من الاعضاء سوى المعدة والقولون والطحال »(٥١) . وهل هناك حاليا ابدع من هـذا التحري والوصف ؟ وله في هذا الموضوع كتب متعددة(٥٢) ، بالاضافة الى كتبه المطولة كالمنصوري والحاوي التي يتكلم فيها عن تشريح كل عضو عند بحثه ذلك العضو .

**الفزيولوجي او خصائص الاعضاء :**

وقد اهتم الرازي بها وطورها ، فمثلا عندما يتكلم على العصب ، يقول : « ينبغي أن تكون عالما بالعصب الذي يأتي الى كل واحد من الاعضاء، منها عصب الحس ومنها عصب الحركة . فالعصب الذي ينبت في الجلد يحس والذي يكون منه الوتر يحرك ، وفعل العصب يبطل اما ببتره في العرض او رضه او شده ، او لورم يحدث فيه ، او لبرد شديد يصيبه ، الا ان الورم والشد والبرد قد يمكن ان يرتفع فعله اذا ارتفعت علله ، وان حدث وقطع العصب عرضا استرخت الاعضاء التي في تلك الناحية وان شق العصب بالطول لم ينل الاعضاء التي في تلك الناحية ضرر البتة فاقصد ابدا عند بطلان حس عضو او حركته الى اصل العصب الجاني اليها فاذا كان قد برد فاسـخنه بالاضمدة وان كان قـد ورم فاجعل عليه المحللة وان كان قـد قطع فلا حيلة لـه(٥٣) .

وله مباحث عديدة في هذا الموضوع لكل عضو بصورة خاصة والجسم بصورة عامة(٥٤) .

**الباثولوجيا :**

على الرغم من انه تسلمها خيالية[٥٥] اذا ما قسناها بنظريات ابقراط وجالينوس ولكنه تمكن من صبها في قالب فكري ومنطقي بعد التتبع والاستقصاء من مشاهداته حتى غدت له الاساس في الطب فهو يوجب معرفتها قبل البدء بالمعالجة لانه يدعو الى تفسير الاعراض المرضية بالتغيرات العضوية والوقوف على اسبابها، مثلا تعليله لليرقان : ــ

« اليرقان هو احمرار البول وعدم ذهاب الصفراء الى الامعاء ولكنها تبقى في الدم وتفرز عن طريق البول » .

كان الرازي شديد الملاحظة لا تفوته ظاهرة دون ان يقرنها بخبرته سواء في الحيوان او الانسان[٥٦] ، فهو يقول مثلا ملاحظاته في النفاخات المائية :

« انه قد يحدث نفاخات ماء في ظاهر الكبد اكثر من حدوثه في سائر الاعضاء » ، ويستطرد فيقول : « نرى في كثير مما نذبح من الحيوانات نفاخات في اعلى الكبد مملوءة من ذلك الماء فان اتفق في بعض الاوقات أن تنفجر هذه النفاخات فان ذلك الماء ينصب فيعبر في الفضاء الذي في جوف الغشاء الممتد على البطن في الموضع الذي يجمع فيه المستسقين الماء » . وفي البحث نفسه يقول : « من انخرقت كبده ادى الى وجع مع حكة مستديمة في فمه ومؤخرة رأسه وابهامي رجله وظهر في قفاه بثر شبيه بالباقلاء ومات في اليوم الخامس من طلوع الشمس ، ومن اعراض هذا الوجع اعتراء المريض حالة من عسر البول والتقطير » . وهو وصف لانفجار الاكياس الهايداتيكية وتوقف عمل الكلى[٥٧] .

وفي رسالة له عنوانها : « لماذا الثلج يحرق ويقرّح »[٥٨] درس التأثيرات الفيزياوية على حياة الانسجة وتقلص الشرايين

ومن دراسته للامراض وقف على ما هي وراثية[٥٩] ، ومنها ما تحدث من خارج الجسم ، ومنها التي مصدرها معدي حيث كان يحوم حول اسبابها وربما كان يفكر في شيء اشبه بالبكتريا التي نعرفها ونصنفها اليوم موعزا بأن الاعراض ظاهرة لمرض بسبب خفي .

وحين يصف الحصبة والجدري يقول : « فوران الدم اشبه بفوران الخمر عند تخمره »[٦٠] .

وكتابه في الامراض التي تحدث في الخريف وتشفى وتزول في الربيع[٦١] يتحدث الرازي عن الرطوبة والجفاف كسبب للامراض وعلاجها . وله كتاب في صفات المستشفيات وطريقة اختيار مواقعها في المدينة وضرورة بعدها عن المناطق الرطبة التي تسبب الكثير من الامراض[٦٢] او تساعد عليها .

وله رسالة في الفرق بين الماء المبرد بالثلج والماء المغلي اولا ثم المبرد على الثلج[٦٣] . يعطي فيها الدليل المقنع على طريقة التعقيم للماء .

وكذلك عندما يتكلم عن الاوبئة وصحة المسافر[٦٤] بعلل كيفية انتشار مثل هذه الامراض .

وهكذا نجد الرازي خلال مناقشته للطلاب ورده على اسئلتهم يتعمق من اجل الوصول الى الاسباب المرضية التي تصيب كل عضو من الاعضاء. وبهذه يجعل من اسئلة الطالب خير معين ومدرس للاستاذ نفسه .

**اما الكيمياء والعقاقير :**

فقد اهتم الرازي بهما اهتماما كبيرا في تدريس الطب حيث يقول : « من لم يكن له المام واسع في الكيمياء لا يستطيع ان يكون فيلسوفا »[٦٥] .

وعلى الرغم من انه اول من استعمل المواد الكيمياوية[٦٦] للمعالجة ، فقد كان يعرف خطورة تلك العقاقير على الجسم وتأثيرها على مستقبل المريض الصحي حتى بعد الشفاء . لذلك نجده يقول : «متى قدرت ان تعالج بالاغذية فلا تعالج بالادوية »[٦٧] ويقول ايضا : « العمر يقصر عن الوقوف على كل نبات في الارض فعليك بالاشهر ممن اجمع .. ودع الشاذ واقتصر على ما جربت وعليك الاستكثار من قراءة كتب الحكماء والاشراف على اسرارهم[٦٨] ، متداركا الاخطاء ومستفيدا من خبرة الاخرين .

ومن هذا يبدو انه كان يريد ايقاف اندفاع الطلاب التجريبي وعدم استخدام الانسان كحقل تجارب .

ونراه قد افرد في كتابه الحاوي فصلا لذكر انواع النباتات والاغذية التي يمكن استعمالها في علاج مرض معين مع رأي كل عالم في ذلك النبات مشفوعا بتوصيته الشخصية كأن يقول «لي» ماء البحر نافع للاستشفاء [٦٩] بعد ان ذكر انواعا من الادوية لعدد من الاطباء . وهو دائما يرشد طلابه باستعمال دواء واحد معين هو اصلح للمرض اذا استطاع الطبيب تشخيص ذلك المرض لذا نراه يقول : « مهما قدرت ان تعالج بدواء مفرد فلا تعالج بدواء مركب »[٧٠] .

وعند عدم معرفة التشخيص يقول : « اذا كانت الدلائل مختلفة فاجعل الدواء كثير التركيب مختلفا فان امثال هؤلاء ينفعون بهذه الادوية وانتقل في مثل هذه العلة من دواء الى دواء ما لم تر الاول ينجح فانه احرى ان يوافق النافع ، ومن علاج الى علاج مخالف او مضاد ولا تدمن على علاج واحد لاسيما اذا لم ير العليل في ذلك منفعة منه فانه كثيرا ما ينفع الدواء عضو واحد ولا ينفع عضوا آخر به تلك العلة بعينها ، واعجب من ذلك انه ربما نفع الدواء العضو الواحد مرات كثيرة ثم يضره بعد قليل ويلهب فيه ورما حارا[٧١] .

من هذا الوصف يبين كيفية انتخاب الادوية او الدواء المفضل والتشخيص بالمعالجة وملاحظة تأثير الادوية على قسم من الاعضاء دون الاخرى والادمان وحساسية الجسم لتلك الادوية .

ولم يغفل الرازي الافادة من التجارب على الحيوانات[٧٢] قبل تجربتها على البشر للوقوف على مضار تجاربه وتأثير جسم الانسان بالادوية الكيماوية ومدى تحمله لها فكان اول من اجرى تجربة استعمال ( السليماني ) الزئبق على القرود فوصف طريقة التسمم به بأجلى وصف للموت[٧٣] ، وهكذا توصل الى استعمال الزئبق على شكل مراهم في معالجة كثير من الامراض الجلدية وغيرها .

**اما الدروس العملية :**

فكانت مثل جلساته النظرية تتم على شكل حلقات من طلابه حـول سرير المريض في المستشفيات شارحا لهم الحالات المرضية النادرة واحدة بعد الاخرى[٧٤] •

وهو في ذات الوقت يعلمهم طريقة التثقيف الذاتي والاعتماد على النفس وبخاصة الطلاب الجدد الذين كان يكلفهم بفحص الحالات البسيطة ويدعوهم الى وصف العلاج اللازم[٧٥] وعرضه على من هو اقدم منهم من زملائهم • وفي حالة الخلاف حول تحديد المرض يراجع الاستاذ لتحديد الحالة امامهم • فبهذه الطريقة يمهد الرازي لطلابه التعمق والاستقصاء واللجوء الى ذوي الخبرة والمعرفة للانتفاع من علومهم وخبرتهم فتراه يؤكد على قـوله : « ينبغي لطالب هذه الصناعة ان يكون ملازما للبيمارستانات ومواضع المرضى كثير المداولة بامورهم واحوالهم من الحذاق من الاطباء كثير التفقد ، ويتخلق ولا يتهاون بها »[٧٦] • ان استشارة من هو اكثر خبرة ، والتتبع الحقيقي لصالح المريض هي الاخلاق السامية للعلم ، كما يقول : « من تطبب عند كثير من الاطباء ، يوشك ان يقع في خطأ كل واحد منهم »[٧٧] فاسـتشارة الطبيب لزميله بنفسه يمنع زميله من السقوط بذات الغلط ، وربما تعاونا في الكشف عن سر المرض • وبهذه الطريقة يستفيد كل واحد من زميله مع كسب ثقة المريض[٧٨] • وقد حذر من الجهل ونقص الخبرة فقال :

« الاطباء الاميون المقلدون والاحداث الذين لا تجربة لهم ومن قلت عنايته وكثرت شهواته قتالون »[٧٩] •

لذلك دعـا الرازي الى تنمية الخبرة العلمية الحقيقية والابتعاد عن الشهوات المادية والعمل على الابداع والتجديد فكان خير قدوة لطلابه في هذا المجال ، اذ انه اعطى لفنه ولطلابه كل شي »[٨٠] • وعنى عناية فائقة بالفقراء وانفق عليهم من امواله الخاصة ، وكانت عيادته غاصـة بالمرضى والطلاب[٨١] ، وكان ايضا يدعو المريض الى اطاعة الطبيب والتقيد بتعليماته حيث يقول : « اذا كان الطبيب عالما والمريض مطيعا فما اقل لبث العلة[٨٢] •

فكيف يكون عالما من لم يتتبع ويستشير ، وكيف لا يكون المريض مطيعا متى ما شاهد ان طبيبه مهتم بصحته وتتبع مرضه واستشارة زملائه اكثر من اهتمام ذويه » .

وكان الرازي يدون كل مشاهداته ويعطي خبرته بطريقته السريرية الخاصة وان معظم كتبه تحمل طابعه العلمي الذي اتخذ من المريض خير كتاب يستنسخه عن استجواباته وفحصه ومعالجته مسجلا جميع مشاهداته وخبرته الخاصة في خدمة الطب[٨٣] ، مثال ذلك : حدث ان شاهد اثناء عودته من بغداد الى الري مرعى فيه بركة ماء وفيها من العلق الشيء الكثير ، واثناء ترحاله استدعى شاب في كامل صحته لاجراء الفحص الكامل عليه ، الا انه يتقيء دما بغزارة حتى كاد ان يهلك فسأل الرازي ذلك الشاب قائلا : « هل كنت قريبا من بركة ماء المرعى القريب ؟ اجاب نعم ، وقد شربت منها . فأمر بأن يطعم الشاب من الطحالب بكميات كبيرة حتى بدأ يتقيأ الطحالب ومعها العلق من معدته[٨٤] .

ومما يقوله الرازي لطلابه : « مهما عمّر الانسان فانه لا يستطيع تحقيق جميع ما شاهد بتعاقب الازمنة في مختلف بقاع الدنيا ، فلابد له من ان يقوي بصيرته بعلم الاخرين » .

ومن هذا المنطلق وصفه كامبل « بانه أبدع كاتب عربي ذو اصالة كبيرة ابدع في تصوير الامراض على سرير المريض وصور الطب بتتبعه السريري الى الاستنتاج الفكري والمنطقي فاضاف اليه الشيء الكثير من خبرته السريرية حيث كون الحجر الاساس لما يسمى الان بالطب السريري[٨٥] .

وكان الاطباء والمؤرخون يصفون الرازي بالبيمارستاني[٨٦] ، لكثرة تعلقه بالمستشفيات وقضائه الوقت الكبير الى جانب المرضى آخذا بنظر الاعتبار ان المريض هو المعلم الاساس للطالب وللطبيب على حد سواء . وجاعلا الطالب المجاسب والمحذر للخطأ والفشل ، مبتعدا عن الدجل والشعوذة ،

غارسا الفضائـل في نفوس طلابه وكيف يمارس الدجل من كان حوله طلابه يسألونه الصغيرة والكبيرة ؟ .

وعند فحصه للحالة التي تعرض عليه من طلابه كان يشـرحها عليهم بالطريقة الاتية مسجلا جميع اسئلته ومشـاهداته في صفحة خاصـة مبتدأ باستجواب المريض[٨٧] والطلاب من حوله سائلا عن اسمه وعمره وبلده ورحلاته وعما الم به واليوم الذي شعر فيه بالمرض وموضع الالم والاعراض التي رافقته بالترتيب والتسلسل الزمني لها مؤكدا على ان المريض خير راوية لشرح ابعاد المرض الذي يعانيه شخصيا كما كان يسأل المريض عن عائلته وافرادها وهل انهم شعروا بنفس الادوار التي يكابدها هو . وبهذه الطريقة توصل الرازي الى اثر الوراثة[٨٨] في لعديد من الاصابات المرضية حيث قال عند فحصه لمريض لم يعلم بسر مرضه ، « وقد كان كثرة التبول يقـوى ظني بالخراج في الكلى وكنت لا احكم ان اباه ايضا اضعيف المثانة يعتريه هذا الداء ، فينبغي ان لا نغفل بعد ذلك غاية النقص انشاءالله »[٨٩] .

ويقول في حالة حمّى مثلا :

« لنضع ان حمى حدثت ونريد معرفتها من اي جنس فاقول ان اول ما يحتاج ان ننظر اليه هل كان لها سبب باد أم لا ؟ وهل ابتدأت بنافض وكيف صورة نفضه وكيف مزاج ذلك البدن ؟[٩٠] الامر الذي دفعه الى التأكد من الاعراض للوصول الى مسببات تلك الحمّى .

وهو يبدأ بفحص المريض معتمدا على ان جسم المريض عضو واحد يجب فحصه كاملا ، وتشمل هذه الطريقة على :

١ ـ الفحص العـام ( الشـامل ) .

٢ ـ الفحص الخـاص .

وعند تطبيقه . رحلة الفحص الشامل يقول : « ابدأ بدراسة حالات المريض وتأثير المرض عليه وهل انه يستطيع السير منفردا ام مستندا ، وعلى

اية جهة يستند ووضع يديه اثناء السير ، وهل هما على اعلى البطن ام اسفلها أم على الرأس أم على الصدر . وتكلم معه لمعرفة هل هو مالك لقواه العقلية أم في حالة خمول وهل حالته تنذر بالخطر أم لا بمجرد القاء نظرة عامة على المريض[٩١] . كل هذه تسجل في صفحة المريض .

ويقول مثلا في حالة حمّى :

يجب أن نعرف الحالات المصاحبة للحمّى من النبض والتنفس ، ويشرح التنفس هل هو سريع ام بطيء عظيم أم صغير متفاوت أم متواتر ، في الاخير يستعمل التفريق بين تسمم الدم بالبول او كسور الجمجمة[٩٢] . ويستطرد في الحمّى يسأل عن النفض والعرق وكيفية الحرارة ومقدار النوائب وكيف تنوب ، والعطش وحالة الاحشاء والقيء والبراز والحالات اللاصقة كالسهر والصداع والتشنج[٩٣] وفحص العين لليرقان وتفريقها بالغائط[٩٤] .

بهذا الشرح المسهب يجلب انتباه طلابه ويدفعهم للتنقيب والتعليل على كل ما يشاهدونه بأسئلتهم المتبادلة .

وانا اعتقد ان الرازي كان يتفاهم مع طلابه امام مرضاه باللغة السريانية محبذا عدم التكلم امام المريض باللغة التي يفهمها حفظا على صحته مما يعتريه من حالات نفسية جراء وقوفه على حالته المرضية التي قد تكون خطرة عند سماعه النقاش ، لذا نراه يقول :

« ينبغي على الطبيب ان يوهم المريض ابدا الصحة ويرجيه بها وان كان غير واثق بذلك فمزاج الجسم تابع لاخلاق النفس[٩٥] » .

ومن الاطباء الذين درسوا على يد الرازي أبو بكر بن قارن ، ويوسف بن يعقوب ، وابو زكريا يحيى بن عدي[٩٦] ، ومحمد بن يونس[٩٧] ، وعليا بن ربن[٩٨] وكلهم يتكلمون السريانية .

**الفحص الخاص :**

يبدأه بالجس فيقول ، مثلا في حالة تقيؤ دموي « انظر اولا في الدم

هل الكبد والطحال عليلان »[٩٩] ، ويقول ايضا : « كان طبيب به وجع في كبده فدخلت اليه فرأيته مرابت مع علامته طستا فيه براز صديدي كأنه ماء اللحم المذبوح وهي علامة صحيحة على ضعف الكبد غاية الصحة فلم التفت الى ذلك وتغافلت كأن لم اره ، ثم ضربت بيدي على عرق العليل ليظهر هل به ورم في كبده ، ام انما ذلك لضعف فقط[١٠٠] .

**واستعمل القرع للتحري :**

ففي الاستسقاء مثلا حيث صنفه الى الزقي والطبلي واللحمي[١٠١] ، ويقول : « اذا شككت في الاستسقاء وأي نوع هو فاقرع البطن وتفقد الصوت فان الزقي واللحمي لا صوت لهما والطبلي له صوت وللزقي اذا قلبت العليل من جنب الى جنب واذا خضضته بيدك بشدة[١٠٢] . اما اللحمي ويعرف هذا بغرس الاصبع ويبقى أثره فيه ويكون في جميع انحاء البدن[١٠٣].

واستعمل الاصغاء ففي حالة انسداد الامعاء يقول ان الالم مع المغص وتردى القيء وكثرة الاصوات في البطن[١٠٤] .

ثم يأخذ بفحص جميع ما يمكن جمعها من مواد مرضية او طبيعية كالبول[١٠٥] والخروج والقيح وغيرها من السوائل الخارجة من الجسم .

بعدها يبدأ بالتعليل لجميع هذه الاعراض لمعرفة التشخيص ورغم ذلك يبقى مشاهدا سير المرض اليومي ويسجل على ورقة المريض جميع التغيرات التي تحدث على المريض حتى اثناء المعالجة لمعرفة الانذارات التي قد تحدث وكذلك لمعرفة البحران[١٠٦] .

فيقول في وصف الجدري : « سرعة بثور الجدري الصغار المتقاربة خطر والكبار المبدد سليم »[١٠٧] .

لا يستطيع المرء ان يكتب هذه المشاهدات ومعرفتها ما لم تكن مقرونة بمراقبة المريض اليومية مراقبة دقيقة لكي تبدو هذه الاعراض بصورة واضحة. وكان تشخيصه دقيقا جدا وقصته المشهورة التي حدثت لعبدالله بن سوادة[١٠٨]

خير دليل على اهتماماته بسير المرض ، ومن رأيه ان يشخص الطبيب اولا ما هو عام ومنتشر ، ويتقيد عن تشخيص الحالات الشاذة الا بعد درس وتمحيص .

وفي المعالجة يجب ان يكون حذرا فانه يوصي باستعمال الادوية الشائعة والمجربة وعدم التسرع في وصف الادوية المعقدة الا بعد خبرة طويلة فيها وهكذا نراه يردد بعد خبرته الطويلة بالسرطانات :

« اذا كان السرطان خنيا أي غير متقرح أو نازف فمن الافضل تركه وعدم التدخل به ، اذ كلما كثرت المداخلات الطبية كلما اسرعت في انتشاره ونموه »[١٠٩] [١١٠] .

اما الطرق الجراحية فكان متريثا في تدريسه لها حيث يقول : « عالج في اول العلة بما لا تسقط به القوة »[١١١] .

وهو اول من استعمل الاحزمة لمعالجة الفتوق[١١٢] مبعدا الادوات الحديدية في تدريسه للطلاب حيث يقول : « فاما العلاج بالقناطر فلست احتاج الى ان اقول انه لن يستطيع احد ان يعالجها علاجا جيدا دون ان يكون عارفا بموضوع المثانة وخلقها معرفة جيدة[١١٣] » .

ويقول : « متى كان اقتصار الطبيب على التجارب دون القياس وقراءة الكتب ، خذل[١١٤] » . وكان متريثا في استعمال السكين ، فيقول :

« فان كان الخراج حادثا في غشاء الكبد فانه اذا انفتح يتصبب ما بين الحجاب والامعاء في الموضع الذي فيه يجتمع الماء في المستسقى فافتح الى جانب الاربية اليمنى فاذا سالت المدة فواضيب على الفتح[١١٥] » .

وما طريقته بفتح الاحليل من العجان الا وسيلة جيدة لمعالجة تضيق الاحليل[١١٦] .

ولا يغفل عن مراقبة تغذية المريض اثناء المرض وفي ادوار نقاهته خوفا من الانتكاسات[١١٧] . وكذلك استعمل الموسيقى كمعالجة نفسية خاصة

لمن كان مصابا بالماخوليا أو الهستريا[118] . ورغم كل ذلك كان يردد ويتوق بتواضع : « ان كل ما اعرفه انا مدين فقط لمثابرتي لقراءة الكتب القديمة ولرغبتي لفهمها ولمناسبها لهذا العلم . ومن ثم اضيف مشاهداتي وخبرتي التي لمستها في حياتي أجمعها[119] . محفزا طلابه للدراسة والمطالعة والتقدم نحو الافضل بعيدا عن الانانية .

واذا قال رأيا فقيل له ولكن من قبلك رأوا ذلك فيجيب : هؤلاء رجال ونحن رجال[120] .

ان دراسة الماضي ينبوع الذكريات الحلو وسجل حافل لتاريخ حياة البشر ومقياسا للتطور الثقافي والاجتماعي .

ختاما يجدر بخاطري عند حضوري احدى المؤتمرات اهداني رئيس المؤتمر كتابا عن تاريخ العراق القديم وكتب كلمة الاهداء « يا خالد كلنا نعيش باساطير قديمة خاصة اذا كانت تلك الاساطير منبعثة من ارضنا فما اسعدك بقراءة هذا الكتاب والسلام عليكم ».

## الهوامش

(١) كتاب الاسرار وسر الاسرار لابي الاسرار ، تحقيق : محمد تقي دانشي برده ـ طهران ٦٤ .
(٢) الرازي نسبة الى الري حيث كانت تدعى رازسميه للملك راز الذي شيدها مع اخيه .
(٣) الموسوعة البريطانية ع ٩ ص ١٠١٩ .
(٤) عيون الانباء لابن ابي اصيبعة ج ١ ص ٤٢٠ .
(٥) ابن النديم : الفهرست ، ص ٢٩٩ .
(٦) ابن ابي اصيبعة ، عيو نالانباء : ٤٢٢/١
(٧) المصدر نفسه ٤٢١ .
(٨) تاريخ الحكماء ـ القفلي ..
(٩) عيون الانباء لابن ابي اصيبعة ج١ ص ٣١٤ .
(١٠) عيون الانباء ، لابن ابي اصيبعة ، ج١ ص ٤١٤ .
(١١) المصدر نفسه ج١ ص ٣١٤ .
(١٢) تاريخ الحكماء للقفطي ، وعيون الانباء لابن ابي اصيبعة ج١ ص٤١٤ .
(١٣) الدين والدولة ، تحقيق عادل نويهض ، ص ٢ وص ٢٥ محمد علي كرد و ( ٩ ) الدكتور سامي حداد .
(١٤) الموسوعة البريطانية ج٣ ص ٦٤٤ بالانجليزية .
(١٥) وفيات الاعيان لابن خلكان ١٧٥ .
(١٦) تعليق مصطفى جواد على كتاب الحوادث الجامعة لابن الفوطي البغدادي
(١٧) الموسوعة البريطانية ج٣ ص ٦٤٤ بالانجليزية .
(١٨) براون ـ الطب العربي ـ ترجمة : داود سلمان علي .
(١٩) عيون الانباء لابن ابي اصيبعة ، ص ٤١٩ .
(٢٠) كتاب الاعلام ، خيرالدين الزركلي .
(٢١) الموسوعة البريطانية ج٩ ص ١٠١٩ بالانجليزية ، وابن ابي اصيبعة ص ٤١٩ .
(٢٢) وفيات الاعيان لابن خلكان ج٤ ص٢٤٦ .
(٢٣) ابن ابي اصيبعة ، ٤١٩ : « كما جاء في كتابه الحاوي ان المنطق باللغة اليونانية ان تنطق الجيم غينا وكافا اذ يقال في جالينوس ـ غالينوس وكالينوس وقد نجعل الالف واللام لاما مشددة فيكون ذلك اصلح في اليونانية » .
(٢٤) ابن ابي اصيبعة عن ابن جلجل ٤٢٠ .

(٢٥) ابو بكر الرازي ، د. فرات فائق
(٢٦) د. امين خيرالله ، ص ١٠٧ .
(٢٧) كاسيل : الطب العربي ٨١/١ بالانجليزية .
(٢٨) المصدر السابق ج٢ ص ٥ .
(٢٩) المصدر السابق ج١ ص ١٧٥ .
(٣٠) مجلة الاخبار الطبية ( امريكية ) جزء (٢٠) عدد (٥) مايس ٧٦ صفحة ١٠٤ .
(٣١) د. امين خيرالله ، صفحة ١٠٧ بالانجليزية .
(٣٢) ابن ابي اصيبعة ، ص ٤١٩ .
(٣٣) نفس المصـــدر .
(٣٤) هذه بعض اسماء الاطباء الذين ذكروا في الحاوي :
ابيوقراط ، ارسطوطاليس ، ابن ما سويه ، روفس ، جالينوس ، اركلفانيس هوداس ، اراس طراط ، ابو جريج ، كناش ، اشليمن، فليقوريون ، قسطا ، دلقوريد ، ابن سرافيون تذكرة عبدوس ، اينيما الطبري ، فسيح ارجيمانس اليهودي ، اهرن الدوار ، بولص الاسكندر ، شمعون ، الخوز ، ومجهول ، يوقلس ، المرضى انفسهم، الافروديس ابيلوس اغلـوق اسحق بيدلقورس ، ارجيجانيس ، **طيماوس، جورجيس ، بختيشوع ، اربيايوس ، ثيادون، اركاغافيس** فاطيطريون ، ابو كالس ، فاطوطس ، قرانيط ، قادس ، البرعن .
(٣٥) وصف الفرغرة لمريض بـ ( الغائط المعسل )
بول الانسان المعتق لمنع سيلان القيح من الاذن ( جـ٣/٥١ ) الحاوي .
او بعض قشور الرمان المسحونة بالبول لاخراج الدودة من الاذن .
لعاب الصائم يقطر في الاذن .
استعمال دماء الحيوانات .
استعمال الخمرة الصرف للصداع ، الحاوي ج٣ ص٦٢٧ .
للخناق الكائن من رطوبة شديدة : يطلى داخل الحلق بمرارة كلب ومرارة ثـور او بغائط انسان مع العسل .
استعمال رائب البقر في الفواق ج١ ص ٢٧١ ( الحاوي ) .
(٣٦) عيون الانباء لابن ابي اصيبعة ص ٤٢٠ .
(٣٧) المصـــدر نفســه .
(٣٨) الموسوعة البريطانية ج٩ ص ١٠١٩ والحاوي ج٣ ص ٤٣٠ .
(٣٩) كامبل : الطب العربي ، ج١ ص ٥ .
(٤٠) الحاوي ج١ ص ١٦٤ .
(٤١) نضر به لـوك .

(٤٢) عيون الانباء لابن ابي اصيبعة ج١ ص ٣١٤ .
(٤٣) الاعلام : خيرالدين الزركلي .
(٤٤) عيون الانبياء : ج١/ص٣١٤
(٤٥) الحاوي ج١٠ ص ١٥٤ .
(٤٦) كامل ، ج١٠ ص ١٥٤ .
(٤٧) تاريخ الحكماء ، للقفطي ١٥٨ .
(٤٨ و٤٩ ) تاريخ الطب في العراق : هاشم الوتري ، ص ٢٣ .
(٥٠) الحاوي : ج٣ ص ٢١٥ .
(٥١) الحاوي الكبير ، ج٧ ص ١٧٦ .
(٥٢) طبقات المفاصل والاوتار والمضلات
طبقات الاذن ، طبقات الخصية ، طبقات العين ، طبقات الكبد ، طبقات القلب .
(٥٣) الحاوي الكبير ، ج١٠ ص ٣ .
(٥٤) من تلك الكتب : منافع ومضار الحمام :
منافع الاعضاء ، قوانين النظر العطش ، حاسة اللمس ، الفضل اولا واخيرا الى الفواكه في المعالجة . النوم
رد كتاب جالينوس عن النبض، العادة، الجماع. كثرته، والاعمار ، تبعات الجماع، الحدس، التغذية، الحليب، النظر ، لماذا تتقلص الحدقة في الضوء وتنبسط في الظلام ؟ ، منافع الاجفان ، تفضيل العين على الاعضاء الاخرى . منافع الغذاء والوقاية من مضاره .
الرياضة ، لماذا السمك الطري يؤدي الى العطش .
(٥٥) براون : الطب العربي ، ترجمة : د. داود سلمان علي .
(٥٦) الحاوي الكبير ، ج٧ ص ١٤٧ .
(٥٧) المصدر نفسه ، ج٧ ص ١٧٦ .
(٥٨) د. فائق فرات : الرازي .
(٥٩) قصص وحكايات : الدكتور محمود نجم ابادي .
(٦٠) الاقلام ، العدد الاول ، سنة ٦٥ ، فيصل دبدوب .
(٦١) د. امين خيرالله ، ص ١٠٧ .
(٦٢) د. فائق فرات .
(٦٣) د. امين خيرالله ، ص ١٩٧ .
(٦٤) د. فائق فرات ، ص ١٣٠ .
(٦٥) عيون الانباء لابن ابي اصيبعة .
(٦٦) الطب العربي : كامل ، ج١ ص ٦٦ .
(٦٧) وفيات الاعيان لابن خلكان ١٥٨ .

(٦٨) عيون الانباء ، لابن ابي اصيبعة : ١٥٩ .
(٦٩) الحاوي الكبير : ج٧ ص
(٧٠) وفيات الاعيان لابن خلكان .
(٧١) الحاوي الكبير ج١١ ص ١٣٦ .
(٧٢) وفيات الاعيان : ابن خلكان .
(٧٣) د. خيرالله ، ص ١٠٧ .
(٧٤) عيون الانباء : ابن ابي اصيبعة ٤٢٠ .
(٧٥) الاعلام :خيرالدين الزركلي .
(٧٦) عيون الانباء : ابن ابي اصيبعة ٤٢٠ .
(٧٧) د. امين خيرالله .
(٧٨) نفس المصــدر .
(٧٩) عيون الانباء : ابن ابي اصيبعة .
(٨٠) الطب العربي : كاميل ج١ ص ٦٦ .
(٨١) الحاوي ج١ ص ٣١١ وابن ابي اصيبعة .
(٨٢) ابن ابي اصيبعة ، ٤٢٠ .
(٨٣) د. فائق فرات .
(٨٤) د. امين خيرالله ، ١٠٧ .
(٨٥) الطب العربي : كامبل ، ج١ ص ٥٦٦ الطب العربي : براون ، ترجمة : د. داود سلمان علي .
(٨٦) ابن ابي اصيبعة ، ٤٢٠ .
(٨٧) ج.ك - ج١ ص ١٨٩ .
(٨٨و٨٩) قصص وحكايات المرضى : الراوي ، د. محمد نجم ايادي .
(٩٠) ج.ك : ج١٤ ص ١٨٩ .
(٩١) د. فائق فرات : ابو بكر الرازي ، ص ٣٧ .
(٩٢) الحاوي ج٣ ص ٢٨٦ .
(٩٣) الحاوي ج١٤ ص ١٢٣ .
(٩٤) الحاوي ج٧ ص ١٤٣ .
(٩٥) ابن ابي اصيبعة ، ٤٢٠ .
(٩٦) المسعودي ، القاهرة ١٩٣٨ ، ص ١٠٦ .
(٩٧) الاسرار وسر الاسرار ، محمد تقي دانش ، ص ١ وص ١١٨ .
(٩٨) المستشرق هابر بريستال .
(٩٩) الحاوي : ج٥ ص ٢٨ .
(١٠٠) الحاوي : ج٧ ص ١٣١ .

(١٠١) الحاوي : ج٧ ص ١٨٨ .
(١٠٢) الحاوي : ج٥ ص ٢٦٨ .
(١٠٣) د. فائق فرات : الوازي .
(١٠٤) الحاوي : ج٧ ص
(١٠٥) الحاوي : ج١٧ ص ٢ .
(١٠٦) الحاوي : ج١٩ ص ٣ .
(١٠٧) الحاوي : ج١٧ ص ٣ .
(١٠٨) الحاوي : ج١٢ ص ٣٥١ .
(١٠٩) هارد فيلد القول الى ملس سرطان الثدي ١٩٦٢ بالانجليزية .
(١١٠) الحاوي الكبير : السرطان .
(١١١) وفيات الاعيان لابن خلكان ١٥٨ .
(١١٢) د. امين خيرالله ، ص ١٠٧ ( بالانجليزية ) .
(١١٣) الحاوي : ج١٠ ص ١٥٤ ..
(١١٤) ابن ابي اصيبعة ، ص ٤٢٠ .
(١١٥) الحاوي : ج٧ ص ١٤٠ .
(١١٦) هارتن : جراحة التجميل للعميان ، ص ١٩ بالانجليزية .
(١١٧) الحاوي : ج١١ ص ١٣٦ .
(١١٨) الحاوي : ج١ ص ٦٧ .
(١١٩) الحاوي الكبير – من قول ( لي ) .
(١٢٠) العربي ، عدد ٨٦ ، الدكتور احمد زكي .

# الرازي وعلم الفارماكولوجي الحـديث

الدكتــورة
عليـا رشـيد عزة

قبل ان ابدأ بعلاقة الرازي بعلم الفارماكولوجي عليّ ان اعرف هذا العلم بصورة واضحة والاصول التي جاءت تسمية هذا العلم منها .

يعرّف علم الفارماكولوجي في العصر الحديث بأنه العلم الذي يشمل المعرفة بتاريخ الدواء أي اصوله وكيفية استخراجه او استخلاصه وتأثيراته الفيزيولوجية وتفاعلاته الكيميا ـ حياتية داخل الجسم والكيفية التي يعمل بها لكي يعطي بها تأثيراته mode of Action سواء اكانت هذه التأثيرات علاجية ام جانبية كذلك كيفية تداول الدواء وجرعاته والعوامل التي تؤثر على كمية الجرعة وامتصاصه وطرق انتشاره في الجسم وتأيضه ثم طرحه[1].

اما الـدواء فيعرّف بأنه كل مـادة كيمياوية ( من اصـل طبيعي أم مخلق تؤثر على الحياة ، وبصورة عامة نستطيع القول بان هذا العلم هو ابو العلوم الدوائية وهو حلقة الوصل بين الصيدلي والطبيب اذ انهما يقفان عاجزين عن افادة المرضى اذا لم يلما بهذا العلم الماما وافيا . فالطبيب مثلا يهمه من الدواء مدى تأثيراته او معالجته المرض كما يهمـه فائدة الدواء لغرض الوقاية من الامراض وتأثيراته الجانبية والسمّية ومدى فاعلية بعض الادوية على حدوث او عدم حدوث الحمل .

اما التسمية فقد وردت بان كلمة فارماكون هي كلمة يونانية تقابل كلمة عقار بالعربية والفارماكوبيا Pharmacopoea هي دستور الادوية ولكن العرب اطلقوها او ترجموها الى الادوية المركبة[2] .

اما كلمة اقرباذين او قراباذين كما يحلو للبعض ان يسميها فهي كلمة اعتبرها العـرب مرادفـة لعلم طبائع الادويـة او مانسميه اليوم بعلـم الفارماكولوجي[3] .

الرازي كما يعلم الاخوة التراثيون هـو ابو بكر محمد بن زكريا الرازي الذي ولد في الري في منتصف القرن الثالث الهجري ( ٢٥٠ هـ ) الموافق لعام ٨٦٤ م ونسب الى مسقط رأسه الري التي تقع في مادي قرب طهران حاليا والتي فتحها العرب في ايام الخليفة الراشـد الثاني عمـر بن

الخطاب (رض)[٤] وقد توطد سلطانهم فيها بين ١٨ ــ ٢٤ هـ[٥] وقد ذكرت دائرة المعارف الاسلامية ان مدينة الري ازدهرت ازدهارا كبيرا في ولاية المهدي ابن المنصور العباسي اذ انه اعتنى بها عناية كبيرة وشيد فيها مسجدا كبيرا فقد كانت مسقطا لرأسه هو ايضا . ويذكر ابن ابي اصيبعة بانها كانت مسقط رأس الخليفة العربي الكبير هارون الرشيد[٧] .

لقد ذكرنا ان علم الفارماكولوجي هو علم مترامي الاطراف ، اما علاقة الرازي بهذا العلم فعلاقة وثيقة ودوره فيه دورا كبيرا ولن استطع ان أفي الرجل حقه في علاقته بهذا العلم في مدة محددة ولكني سوف آخذ علاقة الرازي به من النواحي الاتية :

١ ــ موقف الرازي من علاقة الطبيب بالدواء واهمية الصيدلي في هـذا المضمار .

٢ ــ وجوب الاقتصار على دواء واحد جهد الامكان .

٣ ــ الادويـة المركبـة .

٤ ــ الغذاء واثره في قـوة المريض .

٥ ــ التجارب الفارماكولوجية .

أ ــ التجارب على الحيوانات .

ب ــ الجارب على الانسان .

٦ ــ اثر العمر والحالة النفسية وشدة المرض على سير العلاج .

٧ ــ بعض الادوية التي استخدمها الرازي وما تزال تستخدم لذات الادواء في وقتنا الحاضر .

٨ ــ مقارنة كتب الرازي في الادوية وبكتب الفارماكولوجي الحديثة .

**علاقة الطبيب بالدواء في نظر الرازي :**

كان الرازي لا يرى ضرورة في ان يكون الطبيب عارفا بكل صغيرة وكبيرة عن الدواء اذ انه كان يعتقد بان معرفة دقائق امور الدواء هي من اختصاص الصيدلي وقوله عند امتحان الاطباء لغرض اجازتهم بممارسـة

المهنـة « اما امتحانه بمعرفة العقاقير فأرى انها محنة ضعيفة وذلك ان هذه الصناعة هي بالصيدناني اولى منها بالطبيب المعالج الا ان تقتصر معرفته بالكثير الاستعمال منها فيـدل بذلك على قلة عمله ومزاولته ودربته فاما المطالبة بمعرفة الغريب والنادر منها والفرق بين الجيد والرديء منها فليس ذلك خاصا بصناعته ويمكن ان يكون طبيبا فاضلا مقصرا في كثير من خلال العقاقير ..»[٨] فالرازي هنا ينيط المعرفة الدقيقة بالصيدلي وكأنه مطلع على ما سيحدث عبر القرون في تدريس الصيدلة ونظرة واحدة على مناهج التعليم في كلية الصيدلة عندنا لوجد ان الصيدلاني يدرس الدواء منـذ تكوينه وتناوله ثم افراغـه من قبل المريض بصورة دقيقـة أي صيدلانا وكيمياويا وطبيبا .

**وجوب الاقتصار على دواء واحد جهد الامكان :**

يقول علم الفارماكولوجي في كافة كتبه بان اعطاء نوع واحد من الدواء للمريض حذر تداخل الادوية مع بعضها في داخل الجسم مما قد يؤدي الى اعراض جانبية غير مرغوب فيها ، وقد تكون بالغة الاذى ، لذلك يستوجب على الطبيب ان يكون ملما بطبيعة الادوية فيما اذا كانت تتداخل أم لا وهذا ما قاله الرازي « ما قدرت ان تعالج بدواء مفرد فلا تعالج بدواء مركب وللعالم ايضا بطبيعة الادوية المفردة نهى عنها في اكثر الامر ..»[٩] ونظرة واحدة على وصفات الاطباء الاكفاء في انهم في معظم الاحيان يقتصرون على القليل من الدواء لانهم يستطيعون بكفاءتهم تشخيص الداء ومن ثم اعطاء الدواء الناجح الذي يشفي مرضاهم بصورة مؤكدة .

**الادويـة المركبة :**

ان الرازي كما اسلفت يفضل العلاج بدواء واحد ولكن اذا استوجبت الحالة اعطاء اكثر من دواء واحد فهو لا يتوانى في علاج مرضاه بالادوية المركبة فنجده يقول « ربما احتيج ان يخرج من البدن اخلاطا مختلفة فيحتاج ان يركب ذلك الدواء من ادوية كل واحد منها يخرج خلطا من الاخلاط »[٩] .

فاذا ما القينا نظرة عامة على الادوية الموجودة فوق رفوف الصيدليات في وقتنا الحاضر لوجدنا ان هناك الكثير من الادوية المركبة على شكل حبوب واشربة وغير ذلك من المستحضرات الصيدلانية ( ولنأخذ ابسط الامثلة من الادوية فمثلا حبوب الفلو ـ اوت التي يتناولها الناس عند شعورهم بالزكام نجد انها تحتوي على ثلاث ادوية : الاول من مضادات الحساسية والاخر من مسكنات الالم ومخفضات الحرارة والثالث فيتامين (ث) • فالدواء الاول يخف من حدة الرشح فيريح المزكوم من ازعاجه والاخر يخفف من الصداع والحمى والثالث يساعد على التئام الالتهابات ) • فالرازي كان كأبناء جيله يؤمن بنظرية الاخلاط التي كانت سائدة حينذاك ( قبل اكتشاف المكروبات والتي انقضى عهدها في وقتنا الحاضر ) • ولكن الذي يهمنا بأنه قد انتبه الى ان الادوية المركبة تستطيع ان تعمل معا بدون ان تتداخل مع بعضها او بدون أن يؤدي عملها الى ضرر بصحة المريض •

**الغـذاء واثره في قـوة المريض :**

مما لا شك فيه ان نقص التغذية يسبب امراضا عديدة • وتمتلىء كتب الفارماكولوجي بأثر الفيتامينات هذه وبالتغذية وما يجب على الانسان تناوله لكي تبقى اجهزة جسمه سليمة معافاة والرازي كان يفضل المعالجة بالتغذية فيقول « ان استطاع الحكيم ان يعالج بالاغذية دون الادوية فقد وافق السعادة •• »[١٠] وهو قد الف في تأثير الادوية الكتب ، اذ كان جلّ همّه ان يكون مريضه قويا وكان يعرف ان القوة لا تأتي الا من الغذاء الجيد فهو يقول « القوة للعليل كالزاد للمسافر والمرض كالطريق ولذلك يجب ان يعني الطبيب كل العناية ان لا تسقط القوة قبل المنتهى »[١١] •

وقد ذكر الرازي في كتابه ( منافع الاغذية ) موضوعات مختلفة عن صنوف الغذاء والشراب كالحنطة وصنوف الخبز ومنافع اللحوم ومضارها والقديد واللحم المجفف بالملح ومنافع السمك ومضاره والوان الطبخ ثم يتطرق الى المخللات والزيتون والتوابل والابازير والفواكه الرطبة والجافة وفي الاشربة

ومنافع الماء البارد والساخن ومتى يجب تجنبهما وللرازي مخطوط في مكتبة الاوقاف في الموصل يدعى بدفع مضار الاغذية ويحتوي هذا المخطوط على مقالين بينهما ست صفحات في اختلاف تقديم الفواكه قبل الطعام او بعده . ويعتبر هذا المخطوط اقدم مخطوط في المكتبة[١٢] .

**التجارب الفارماكولوجية للرازي :**

قبل تقديم الدواء الجديد او تسويقه يجب التأكد من كونه امينا عند استخدامه على الانسان اذ تجري عليه التجارب المختلفة في المختبرات العلمية الكيميا ـ حياتية والفيزيولوجية والفارماكولوجية وذلك أملا بتجربته على انسجة الحيوانات المختلفة والمعزولة عن باقي جسم الحيوان ثم على الحيوانات المختلفة بصورة تدريجية أي ابتداء من اقل الحيوانات رقيا في سلم التدرج وحتى ارقاها وهو القرد . وبعد ذلك تجري التجارب على الانسان بعد اخذ الموافقات الرسمية في الدولة التي تتبع لها المؤسسة العلمية التي استنبطت الـدواء .

الرازي لم يهمل التجارب على ادويته المختلفة ، فقد بدأ اولا بالتجارب على الحيوانات ثم على الانسان وفيما يلي مثالا على هذه التجارب :

**تجربة الرازي على الحيوانات :**

يعتبر الرازي اول طبيب عربي جرّب تأثير الزئبق واملاحه على القرود وراقب النتائج . وقد ذكر الرازي بان الزئبق النقي مزعج جدا اذ انه يسبب ألما شديدا في البطن ( المغص المعوي ) ويعدها يترك الامعاء الى الخارج دون اي تغيير عليه . وهو يذكر بأنه قد اعطى الزئبق لقرد كان يسكن معه في بيته فرأى القرد ملتويا على نفسـه واضعا يديه على بطنه وهـو يصك اسنانه اما املاح الزئبق فيذكر الرازي بأنها سموم فعالة ويقصد هنـا الكالومين والسايماني وهي تسبب آلاما بطنية حادة مع مغص ودم في البراز اما الحقن بالزئبق ( بالطبع الحقن الشرجية ) فيسبب الشلل[١٣] . ولو تأملنا وصفه هذا

لوجدناه وصفا شاملا ودقيقا اذا ما أخذنا بنظر الاعتبار الزمن الذي عاش به الرازي •

**تجربة الرازي على الانسان :**

لقد اثار عجبي واعجابي معا استخدام الرازي لطريقة تعتبر من التجارب الحديثة والمهمــة في علم الفارماكولوجي الا وهي طريقة التجارب السريرية Clinical Trials ففي هذه التجارب يكون الانسان هو المجرب عليه والرازي قسّم مرضاه الى مجموعتين لغرض معرفة تأثير الفصد[١٤] على مرضى السرسام ( وهو مرض يقال انه ورم في الدماغ ، اذ فسرها الشطي[١٥] بانها كلمة متكونة من مقطعين ، المقطع الاول هــو كلمة ـ سر ـ الرأس ثم ـ سام ـ أي الالتهابات ) وبالفعل عالج احدى المجموعتين بالفصد وترك الاخرى ثم راقب النتائج وسجلت بدقة وقرر في ضوئها علاجه •

نحن لا يهمنا هنا الى ماذا انتهى الرازي في تجربته هذه وماذا قرر في علاجه ولكن الذي يثير اعجابنا بأنه قد استخدم هذه الطريقة قبل ما يزيد على احد عشر قرنا وهي من الطرق التي اعتبرت حديثة في علم الفارماكولوجيا والتي تستخدم عندما يراد معرفة تأثيرات دواء جديد على المرضى او الاصحاء بعد انتهاء من تجربة الدواء ذاته على الانسجة والحيوانات •

وفي يومنا هذا هناك نوعان من هذه التجارب احدها ان يعطى العلاج للمرضى ويقال لهم بانهم قد اعطوا علاجا جديدا ويقارنوا مدى التأثير بالدواء مع مرضى آخرين لا يأخذوا العقار • اما الطريقة الثانية فتدعى بطريقة العمى المـزدوج double blind test ولا تفرق هذه الطريقة كثيرا عن سابقتها الا ان المريض هنا لا يعرف بانه قد اخذ علاجا جديدا كذلك لا يعرف المرضى المقارن بهم بانهم لا يعطون دواء البتة وانما يعطون مادة لا تأثير طبي لها كالسكر او النشا ثم تلاحظ التغييرات على المرضى وتسجل النتائج وهناك طريقة اخرى هي ان مساعد الطبيب ( الطبيب المتمرن ) والمرضى المقارن بهم يجهلون ماهية

الدواء والوحيد الذي يعرفه هو الطبيب المشرف . وهذه تسمى بطريقة العمى الثلاثية Triple Blind Test ثم تسجل النتائج .

فالرازي قد استخدم اولى الطرق فلا عجب اذا اطلقنا عليه الطبيب الدوائي .

**اثر العمر وشدة الداء والحالة النفسية على سير العلاج :**

في العصر الحديث يؤخذ بنظر الاعتبار عند احتساب الجرعة الدوائية عوامل شتى منها العمر وشدة الداء وحالة المريض النفسية وعوامل اخرى لا مجال لذكرها هنا والرازي لم ينس هذه العوامل فهو يشير الى « التدبير وحالة البدن واليقضة فالجرعة التي تعطى للطفل والمسن اقل من تلك التي تعطى للشاب اذ ان جهاز الانزيمات في الطفل يكون اقل كفاءة لانه لم يتكون بعد اما في الشيخ فقد ارهقت السنون اعضاءه ولذلك يكون جهازه الانزيمي مرهقا فيعطى الدواء بجرعة اقل .

وشدة المرض والتي ربما كان الرازي يسميها حالة البدن ، فالمرض الشديد يعطى جرعة اكبر من المرض الاقل شدة فنجد الطبيب في ايا منا هذه مثلا يصف غرام واحد من عقار لمريض ويصف غرامين للاخر من نفس الدواء ، ففي هذه الحالة نعرف بان الطبيب قد اخذ بنظر الاعتبار حالة وشدة المرض فالاول اقل مرضا من الثاني أي ان شدة مرض الاول هي اقل من شدة مرض الثاني وهكذا .

اما الحالة النفسية للمريض فقد اخذها الرازي بنظر الاعتبار وكأنه قد ادرك ان في حالات اليقضة يكون الجسم اكثر حيوية من حالات النوم ففي النوم كما يعرف الاطباء تقل فعاليات الجسم بصورة عامة حتى ولقد تقرب بعضها من الخمول وخاصة جهازي الدوران والهضم وفي ضوء هذه كان يصف الادوية لكل مريض ماينا سبه ولكل داء دواء .

**بعض الدوائيات التي استخدمها الرازي :**

لقد استخدم الرازي الافيون في حالات السعال الشديدة(١٦) والجافة

الذي يجلب الانتباه حقا ان بعض ادويته هذه تستعمل حاليا بذات الطريقة التي استعملها هو ولنفس العلل .

لقد استخدم الرازي الافيون في حالات السعال **الشديدة** [١٦] **والجافة** ونظرة واحدة لاي كتاب من كتب الفارماكولوجي نجد ان الافيون الذي يحتوي على العديد من القلويات او شبه القلويات كالمورفين والكودائين والنوسكابين تستخدم في ايقاف السعال الجاف خاصة الكودائين وهي جميعها تعمل على تثبيط مركز السعال في الدماغ وبذلك تخفف من نوباته وحدته ونعطي هذه الادوية كما اعطاها الرازي وخاصة في حالات مرضى القلوب لكي تخفف عن القلب المريض الارهاق الذي يسببه السعال له .

استخدم الرازي الافيون في علاج الاسهال الحاد[١٧] وعلماء الفارماكولوجي يقولون ان الافيون وكلوريداته تشد العضلات الملساء للامعاء أي تقلصها بصورة تشنجية وبذلك تقل حركتها الدودية فيقل تبعا لذلك عدد مرات الافراغ وفي ذات الوقت تطيل فترة بقاء الفضلات السائلة في الامعاء وبذلك يتاح للماء الموجود فيها المدة الكافية لكي يمتص الى الجسم فتزداد كثافة محتويات الامعاء علاوة على تسكين الالم . لذلك نجد ان الطبيب في الوقت الحاضر يسأل مريضه في حالة الشك بوجود الادمان ان كان يشكو من الامساك .

استخدم الرازي الافيون ايضا[١٨] لجلب النوم وهو يُعطى حاليا لنفس السبب خاصة بعد العمليات الجراحية ولو ان استخدامه قد قل جدا في الوقت الحاضر بالنظر لوجود ادوية أخرى اذ ان المورفين يولد الادمان .

استخدم الرازي طريقة التبخير في العلاج[١٩] ولا تزال تستخدم في يومنا هذا وذلك بوضع بعض الزيوت الطيارة في الماء الساخن لكي يستنشقه المريض اذ ان الابخرة هذه سوف تعمل على توسيع القصبات الهوائية وبالطبع تتوسع المجاري التنفسية لانها تؤثر على عملية مرور الهواء دخولا وخروجا في حالتي الشهيق والزفير وبذات الوقت فان للزيوت الطيارة تأثيرا مخدرا موضعيا وهكذا تزيل الازعاج الذي يحس به المزكوم .

عالج الرازي الاستسقاء بواسطة زيادة ادرار البول والاسهال • وماذا يفعل علماء اليوم •• ؟ انهم يعطون المريض المدررات واحيانا المسهلات لكي تطرد السوائل من الجسم اذ عند طردها سوف تجبر السوائل من خارج الخلايا Extra cellular Fluid على ان تنفذ الى الداخل وبالتدريج تذهب الودمة[٣٠] وللرازي كتاب في علاج الاستسقاء ربما كان هو الأول من نوعه اذ أنه قد كتبه بطريقة علمية منتظمة •

الادوية التي استخدمها الرازي كثيرة ولكن يذكر بأنه اول من عالج السل بالحليب والسكر ( ربما لتقوية جسم المريض كي يستطيع مقاومة المرض[٣١] ، وعالج التهاب الصدر بالكحول أو الخمرة[٣٢] وادخل طرق مختلفة في العلاج •

**كتب الرازي والفارماكولوجيا الحديثة :**

لقد الف الرازي كتبا عديدة اختلف في عددها فقد ذكر فرات فائق في كتابه أبو بكر الرازي بأنه قد الف ما يقرب من ستة وخمسين كتابا في الطب وحده •

لو تصفحنا كتاب الحاوي مثلا نجده يذكر الامراض ويذكر الادوية ، وهو يعتبر اكبر كتاب الف بالعربية كما يقول براون[٣٣] في كتابه ( الطب العربي ) اما قسم الصيدلة في هذا الكتاب فقد بقى مرجعا في التداوي مدة طويلة بعد النهضة الاوربية[٣٤] والذي يجلب الانتباه ويزيدنا احتراما لهذا الرجل انه قد نسب كل شيء او قول نقله الى قائله اولا اي مما يفعله الكتاب اليوم بذكر المصادر التي تستقى منها المعلومات •

اما كتاب المنصوري ففيه عشر مقالات يتحدث فيها عن شكل الاعضاء وخلقها والاخلاط الغالبة عليها وقوى الاغذية والادوية وحفظ الصحة بالاضافة الى وجود بعض النكت والطرائف[٣٥] ( وهذا يذكرني بكتاب البروفيسور لورنس عندما يذكر بعض الطرائف بين صفحات العلم كما واحيانا يذكر

اشعارا يتمثل بها وهذا الكتاب اي ( كتاب لورنس ) هو احد المراجع العلميه التي يرجع اليها طلاب الطب والصيدلة في بريطانيا وبغـداد وغيرها في دراسة الفارماكولوجي السريري )[٢٦] •

وكتاب دفع مضار الاغذية[٢٧] مكون من مقالتين الاولى هي استعمال الاغذية ودفع التخمة ومضارها وقد قال فيه انه جمع قوانين الطب الكلية والجزئية •

لقد اتبع الرازي طريقة ذكر المرض وكيفية علاجه سواء بالادوية او الاغذية ( الغالية الثمن التي يستطيع الاغنياء شراءها والرخيصة التي يستطيع الفقراء الحصول عليها ) وهذه الكتب تشبه الى حد كبير كتب الفارماكولوجي الحديثة وخاصة الفارماكولوجي السريري اذ فيها يصف المؤلفون المرض اولا ثم الدواء وصفاته المختلفة والتأثيرات المطلوبة او الجانبية •

وختاما اقول بأن هناك حديث للرسول الكريم (ص) « اذا مات ابن آدم انقطع عمله الا من ثلاث صدقة جارية او علم ينتفع به او ولد صالح يدعو له » واجدني اليوم أمام رجل ينطبق هذا الحديث عليه ، فهو قد خلّف علما نافعا لا يزال نفعه يعم الانسانية وهو بذات الوقت صدقة جارية اذ انه كلما تعلمنا منه اعتبر ذلك صدقة له فكم صدقة قد حصل على ثوابها هـذا الرجل العظيم منذ بدأ عمله وحتى اليوم بعد احد عشر قرنا تقريبا •

هذا وارجو المعذرة من الاخوة الكرام ان كنت لم استطع ايفاء هذا الرجل العظيم حقه فالوقت قليل والكلام فيه طويل ومتشعب فان اخطأت في شيء فسبحان من لا يخطأ •

أسأل الله التوفيق للجميع والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته •

## الهـــوامش

١ ــ الاسس الفارماكولوجية في التداوي ــ كودمان وكلمان ــ الطبعة السابعة ، ص ١ .

٢ ــ الرواد العرب في علم النبات ــ عبدالحليم منتصر ص ٧٥ .

٣ ــ كشف الظنون عن اسامي الكتب والفنون ــ حاجي خليفة ج١ ص ١٣٦ .

٤ ــ طبقات الاطباء ــ ابن ابي اصيبعة ص ٤١٤ .

٥ ــ دائرة المعارف الاسلامية ــ المجلد العاشر ص ٢٨٥ ــ ٢٩٠ .

٦ ــ نفس المصــدر .

٧ ــ طبقات الاطباء ــ ابن ابي اصيبعة ، ص ٤١٤ .

٨ ــ المرشد ــ الرازي ــ فصل ٢٨٣ ص ٢٩٣ .

٩ ــ نفس المصــدر .

١٠ــ المرشد ــ الرازي ــ فصل ١٧٧ ص ٩٢ .

١١ــ طبقات الاطباء : ابن ابي اصيبعة ص٣٥١ .

١٢ــ نوادر ونفائس مخطوطات مكتبة الاوقاف في الموصل ــ سالم عبدالرزاق ــ مجلة بين النهرين ج٤ ص ٣٨٥ .

١٣ــ الطب العربي ــ امين اسعد خيرالله ــ الطبعة الانكليزية ص ١٠٧ .

١٤ــ دراســات في تاريخ العلوم عند العرب ــ حكمت نجيب عبدالرحمن ، ص ١٥ .

١٥ــ العرب والطب ــ الشطي ص ٢٧ .

١٦ــ من لا يحضره الطبيب ــ الرازي ص ٤٣ .

١٧ــ الحاوي ــ الرازي ج٦ ص ١٧ .

١٨ــ الحاوي ــ الرازي ج١ ص ٢٢٦ .

١٩ــ دراسات في تاريخ العلوم عند العرب ــ حكمت نجيب عبدالرحمن، ص٤٥ .

٢٠- الاسس الفارماكولوجية في التداوي ، كودمان وكلمان - الطبعة السابعة ص ٨٨٥ ( بالانكليزية ) .
٢١- الطب العربي - أمين اسعد خيرالله - الطبعة الانكليزية ، ص ١٠٧ .
٢٢- ابو بكر الرازي - فرات فائق ص ٥٢ .
٢٣- المصدر السابق .
٢٤- الطب العربي - براون - ترجمة الدكتور داود سلمان علي ، ١٩٨٦ .
٢٥- ابو بكر الرازي - فرات فائق ص ٦٩ .
٢٦- دراسات في تاريخ العلوم عند العرب - حكمت نجيب عبدالرحمن، ص٥٠ .
٢٧- الفارماكولوجيا السريرية - لورنس - بالانكليزية .
٢٨- مخطوطة في مكتبة الاوقاف العامة في الموصل للرازي .
٢٩- حديث نبوي شريف مشهور ( صحيح مسلم ) .

# دراســـة لبعض الحالات السريرية

# التي ذكرهـا الــرازي

الدكتور عــادل البكري

كلية الطب ـ الجامعة المستنصرية

أبو بكر محمد بن زكريا الرازي احد كبار الاطباء والفلاسفة العرب ، نشأ في مدينة الري وتعلم فيها . ودرس الفلسفة والمنطق والكيمياء ، وقام برحلات كثيرة في طلب العلم . ودرس الطب حتى اصبح من اشهر اطباء زمانه، وتولى رئاسة البيمارستان في مدينة الري ثم في بغـداد . وبرع في معالجة المرضى حتى لقب بجالينوس العرب ، وصار كما يقول ابن خلكان « امام وقته في علم الطب والمشار اليه في ذلك العصر . وكان متقنا لهذه الصناعة حاذقا فيها ، عارفا باوضاعها وقوانينها ، تشد اليه الرحال في اخذها عنـه . وقد صنف فيها الكتب النافعة[١] » وكثر تلاميذه فهو بحق مدرسة لتعليم الطب في ذلك العصر .

وليس الطب علما يدرس في الكتب حسب ، بل هو تجارب وخبره مكتسبة من المرضى . وكان الرازي من اكثر الاطباء تجاربا وخبرة ، وكان ـ كما يقول المستشرق براون ـ اعظم واشهر اصالة من اي طبيب آخر في الاسلام[٢] . وكان وثيق الصلة بالمرضى ، يكثر من الاستجواب والاسئلة عن امراضهم فيقول : انه ينبغي على الطبيب أن لا يدع مسألة المريض عن كل ما يمكن ان تتولد عنه علته من داخل ومن خارج وهو يسأله عن مأكله ومشربه وعن حالته الصحية قبل مرضه ، وعما اذا كان قد اصيب بذلك المرض من قبل أم لا. ومن هنا تأتي اهمية الحالات السريرية التي اوردها في كتابه ( ا الحاوي ) والتي سنخصها بالدراسة في هذا البحث لما لها من اهمية علمية في تشخيص الامراض ، فهي تحتوي على تجارب ثرة لم يغفل عن تدوينها في كتبه باسلوب تعليمي ، وهو الاسلوب الذي يتبعه غالبا في كتابه ( الحاوي ) فهو يقول مثلا عن تشخيص الحمّى : « لنضع أن حمى حدثت ونريد معرفتها من أي جنس هي . فأقول : ان اول ما تحتاج ان تنظر اليه : هل كان لها سبب باد ام لا ؟ وهل ابتدأت بنافض ؟ وكيف نوع

نوع الحمى وحرارتها وحال انقضائها : أبعرق ام بغيره ؟ وكيف صورة نفضها ؟ وكيف مزاج ذلك البدن ؟ وما قد كثر ان يعرض في ذلك الوقت من الحميات ( أي ما مقدار اصابات الحمى في ذلك الوقت ، الامر الذي قد يدل على حدوث جائحة او وباء )[٣] .

اما استقراء اعراض المرض فيعتمد على طريقة فحص المريض كالنظر والمراقبة وجس النبض ، وجس الكبد والطحال والمثانة الممتلئة والنظر في القارورة ، أي فحص البول لمعرفة لونه وعكره وترسباته . وبعد ان يقرن نتائج هذا الفحص بالنتائج التي حصل عليها من استجواب المريض ( او مسألته كما يقول ) يضع التشخيص ( أي تسمية المرض ) ويصف له علاجه وادويته .

ان هذا الاسلوب الذي اتبعه الرازي كان يتبعه عدد من الاطباء المعروفين الذين حدثنا عنهم ابن أبي اصيبعة . غير ان ما يختلف الرازي به عن غيره من الاطباء ، هو تدوين الحالة المرضية التي نسميها في الطب الحديث ( الحالة السريرية Clinical Case ، وهي السيرة المرضية لشخص معين والشكوى ونتائج الفحص وتطور الاعراض نحو الاحسن او نحو الاسوأ بسبب ظروف معينة تحيط بذلك الشخص . فاذا اصيب شخص ما بمرض من الامراض واصيب شخص آخر بذلك المرض نفسه وبالاعراض ذاتها فعندئذ تكون لدينا حالتان سريريتان وليست حالة سريرية واحدة ، لان لكل مريض منهما ظروفه الصحية والجسمية والنفسية الخاصة به والتي تؤدي الى شدة المرض او نقصه او الشفاء منه او الهلاك به .

وتدوين الحالات السريرية في الكتب الطبية له اهميته من الناحية العلمية فهو :

أولا ــ متابعة تطور المرض ومعرفة انذاره او النتيجة التي سينتهي بها وهو ما كان يسمى سابقا بتقدمة المعرفة .

ثانيا ــ وسيلة لتثبيت شواهد حقيقة عن كل مرض من الامراض وهو ما يساعد على دراسة تاريخ الامراض في المجتمع خلال العصور المختلفة

التي تطور فيها الطب ووصل الى ما هو عليه الآن .

ثالثا ـ طريقة تعليمية يتبعها الاطباء عند تدريسهم الطب وتشخيص الامراض فهم يشرحون حالة المريض اثناء مرضه ، أي وهو في سريره لطلابهم الذين يسجلون هذه الحالات نقلا عنهم . ومن هنا جاء تسميتها بالحالات السريرية .

وقد اشتهر الحاوي بذكر عدد كبير من الحالات السريرية التي تجاوز عددها المائة حالة في هذا الكتاب ، وبذلك فقد تميز على كتاب القانون لابن سينا وعلى كامل الصناعة الطبية لعلي بن عباس ، وعلى كتب الرازي الاخرى كالمنصوري وغيره وكان ابوقراط أول من سجل الملاحظات السريرية للمرضى بشكل يمتاز بالدقة والامانة العلمية . وجاء الرازي فدون ملاحظاته بالاسلوب نفسه فاوضح الاعراض المرضية لكل مريض وطريقة الفحص والعلاج في بعض الاحيان ، منهم من ذكر اسماءهم ومنهم من لم يذكر . وقد سجلنا في ادناه عددا من هذه الحالات المرضية مع دراسة حولها . منها حالة ذكرها عن رجل اصابه فالج من حر كثير وصوم ، فاسقى ايارج ولقي من ذلك بلاء شديدا حتى انه اقعد . ثم عولج بالحمّام والاشياء المرطبة والمروخ بالدهن فبرأ . وهـذه الحالة يطلق عليها ( مغص الحرارة ) **Heat Cramps**

وهو التقلص المؤلم في عضل الاطراف ، ويحدث عند المشتغلين في بيئة حارة فينضح منهم عرق غزير يؤدي الى نقص كلور الصوديوم في الجسم . ومما يساعد على حدوث المرض التزام حمية قليلة الملح . وفي الحالة التي ذكرها الرازي كان المريض صائما فنقص عنده الملح ، واستعمل الايارج وهو مسهل فساءت حالته . ثم عولج بالمواد المرطبة كما يقول فانخفضت عنده الحرارة وقل التعرق وبرأ من مرضه(٤) .

وحالة اخرج ذكرها عن الامراض النفسية والماليخوليا فقال ان سببها انشغال النفس في الاشياء العميقة البعيدة ، واذا فكرت ( النفس ) فيها فلم

تقدر على بلوغ عللها حزنت واغتمت واتهمت عقلها . وقال ان رجلا شكى اليه وسأله ان يعالجه من مرة سوداوية . قال : فسألته : ما تجد ؟ قال افكر في الله تعالى من أين جاء وكيف ولد الاشياء . فاخبرته ان هذا فكر يعم العقلاء اجمع . فبرأ من ساعته ، وقد كان اتهم عقله حتى انه كاد يقصر في ما يسعى فيه من مصالحه . وغير واحد عالجته بحل فكره(٥) .

والذي نلاحظه في هذه الحالة انه استعمل التحليل النفسي فقال : ( عالجته بحل فكره ) ، وهو ما يفعله الاطباء النفسانيون هذا اليوم في معالجة مثل هذه الحالات .

وحالة اخرى ذكرها الرازي فقال : رأيت امرأة كان فكها الاسفل يصك الاعلى دائما ويرجع ثم يصك . وضبطت عليه بقوة لئلا يرجع فلم يمكن ذلك. وكان بطنها ينتفخ حتى يكاد ينشق . أمر عجيب جدا ! وكان ذلك بدء تشنج رطب . ثم تم ذلك واصطكت الاسنان ولم تفتح وماتت(٦) . وهذه الاعراض تنطبق على مرض الكزاز الذي لا علاج له الا باعطاء المصل المضاد والذي لم يكن مكتشفا آنذاك فماتت المرأة كما هو متوقع . وقد اعطى الرازي وصفا لاعراض هذا المرض ( ما عدا تقوس الظهر ) بينما لم نجد ذكرا لمثل هذه الحالة في كتب الاطباء الاخرين .

وحالة اخرى ذكرها عن شخص سماه ( اخا حامد بن العباس العامل ) قال انه كان ينفث نفثا نضيجا ، الا ان الرجل كان ضعيف القوة من الاصل رديء المزاج . ولم يعلم الاطباء ان به ذات الجنب الا بعد مدة لانه كان به وجع في معدته وكبده . فلما علموا ذلك فصدوه على الرسم ( اي حسب العادة التي كانوا يسيرون عليها ) ، لا بمعرفة فمات . وقد كنت اشرت أن لا يفصد ، وذلك اني رأيت نبضا ضعيفا جدا ، وانما يحتاج الى الفصد في الابتداء ( اي قبل اصابته بالمرض ) . فأما اذا نضج ونفث فان تغذوه مثلا لتزيد في قوته الا ان تفصده(٧) . والذي يجدر ذكره هنا ان الرازي كان

قد اشار على الاطباء المعالجين ان لا يفصدوا هذا المريض لانه لا يجوز الفصد في حالة ضعف النبض بل ان يغذوه الغذاء الجيد ليزيدوا في قوته ولكنهم لم يمتثلوا لاشارته فمات المريض .

وحالة اخرى عن امرأة راجعته قال عنها انها تجوع ولا تشبع ويعرض لها لذع في المعدة وصداع . فسقيتها أيارجا فأسهلها حيات طوالا : الواحدة اثناعشر ذراعا واكثر ، فسكنت عنها تلك الشهوة المفرطة . وعلمت ان ذلك كان من اجل امتصاص تلك الحيات كل ما كانت تأكله[٨] . فالحالة هنا هي وجود ( حيات البطن ) أو الدودة الوحيدة في الامعاء والتي قد يزيد طولها على الاثنيعشر ذراعا أي ستة امتار ، وهذا هو طولها الحقيقي ، وهي تسبب كما نعلم الجوع واضطرابات المعدة وفقر الدم الذي أحدث الصداع عند هذه الامرأة التي ذكرها الرازي . اما المعالجة فكانت بالارياج ، وهو دواء يحتوي على السقمونيا والانتيمون والراوند والزعفران والجنطيانا وغيرها ، له تأثير مسهل ومدرر[٩] وطارد للديدان . وهو ذو طعم مر ، وقد جاء ذكره في ديوان سبط ابن التعاويذي بقوله :

يحلـــو هجـــاؤك لـــي ‌ ‌ ‌ ‌ وأنت أمرّ من حب الاياريج

وحالة اخرى عن رجل بدين قال عنه انه كان لازما للراحة وكان كثير الاكل لاتتهيأ له حركة ، به وجع مفاصل فالزمته الفصد في كل تسعين يوما ، والاسهال اللين في كل اسبوع مرة بما يقيمه اربعة مجالس او خمسة ، وفي كل شهرين اعنف من هذا وفي كل يوم البزور المدرة للبول ، والتقدم بالفصد والاسهال في اوقات النوائب . فخفت علته وقارب الصحة[١٠] .

نلاحظ في هـــذه الحالة اعلاه ان المريض بدين قليل الحركة ملازم للراحة كثير الاكل ويشكو من وجع المفاصل فعالجه بالفصد والمسهلات والمدرات بصورة متواصلة ، وهي اجراءات من شأنها ان تقلل السوائل في الجسم وتقلل من ورود الدم الى الاعضاء ، وبذلك حقق بهذه المعالجة غرضين،

هما معالجة البدانة وتقليل ثقل الجسم على المفاصل ، وهي معالجة ناجحة تتضمن اشارة الى العلاقة بين وجع المفاصل والبدانة عند المريض .

وقال في ملاحظة اخرى : جاءنا رجل الى المارستان وفي مرفقه جرح ضيق يدخل فيه المجس[١١] كله . فأمر بعضهم أن يكشف ( أي ان يفتح الجرح ) وكان الذي يسيل من الجرح دمويا فيه غلظ كأنه لحم منحل ليس برديء الريح ، فرفدناه ( اي وضعنا عليه الرفائد او الضمادات ) آنفا . وامرته ان ينصب ذراعيه . وجعلنا على فم الجرح قطنة لا تمنع ما يسيل . وامرته ان هو أحس بشيء ينزل ان يعنيه بالعصر . فعاد الينا من غد وقد لزق وقرب من البرء والتأم . فلذلك لا ينبغي أن تبادر الى كشف امثال هذه ، الا أن تكون مزمنة قد تنضرت( أي نضجت ) وصلب اللحم الذي في جوفها مع رداءته ، ولا يمكن ان ينصب نصبته[١٢] يسيل منه ما فيه ، او يكون ما يسيل منه رديئا خبيثا ويكون فيه عظم ، فان هذه لا يمكن ان تلتحم البتة الا بان تكشف وتعالج بعد ذلك[١٣] . والذي نلاحظه هنا استعمال الرازي للفتيلة او النصبة داخل الجرح لتساعد على نزول الصديد والسوائل منه ويتم شفاؤه ، ولا يحدث ذلك اذا انسدت فوهة الجرح بالمفرزات او حدث فيه التصاق وعندئذ لابد له من ان ينتح وهو ما عناه بقوله ( كشف الجرح ) .

وفي حالة اخرى قال : كان بأبي عبدالله بن سوادة حميات مختلطة ، تنوب مرة في ستة ايام ومرة غبا ومرة ربعا ومرة كل يوم ، ويتقدمها نافض يسير . وكان يبول مرات كثيرة . فحكمت انه لا يخلو اما ان تكون هذه الحميات تريد ان تنقلب ربعا واما ان يكون به خراج في كلاه . فلم يلبث مديدة الا بال مدّة (أي قيحا ) فأعلمته انه لا تعاوده هذه الحميات ، وكان كذلك . وانما أضلني في اول الامر عن القول بأن به خراجا في كلاه ، انه كان يحم قبل ذلك حمّى غب وحميات أخر ، فكان الظن بأن تلك الحمى المختلطة من احتراقات تريد ان تصير ربعا ، موضع قوى ، ولم يشك أن

في قطنه شبه ثقل معلق منه اذا قام ، واغفلت ايضا عن ذلك وقد كان كثرة البول يقوي ظني بالخراج في الكلى .. ولما بال المدّة اكببت عليه بما يدر البول حتى صفا البول من المدة . ويقول انه سقاه ادوية اخرى فتخلص من علته وبرأ برءا تاما سريعا في نحو شهرين[14] . وفي هذه القصة يذكر الرازي أن مريضه أبا عبدالله كان يشكو من حمّى متقطعة يسبقها نافض في أول الامر انها البرداء او الملاريا التي كانت منتشرة في تلك المنطقة ، وقد عالجه على هذا الاساس ، ولكن المريض مصاب بخراج في الكلى نضج وتقيح خلال مدة المعالجة وبال المريض قيحا فكان ذلك سببا في تشخيص المرض حيث أعطى المدرات التي ساعدت على التخلص من القيح وشفي المريض .

وقال في حالة اخرى : جاءني رجل يشكو اليّ خفقان فؤاده . فوضعت يدي على يده اليسرى فأحسست شريانه الاعظم ينبض نبضا لم أر مثله قط عظما وهو لا . ثم مد يده اليسرى ليريني باسليقه ( اي شريانه العضدي ) فاذا شريانه ينبض في مأبض العضد نبضا اعظم ما يكون ظاهرا للمس جدا جدا ، يشيل اللحم حتى يعلو وينخفض دائما شيلاً قويا ظاهرا . وزعم انه فصد الباسليق فلم ينفتح ، وانه اذا أكل أشياء حارة نفعته . فتحيرت في أمره مدة ثم اشرت عليه ، بعد أن بان لي ، بدواء المسك . وقدرّت في هذا الرجل ان حاله في النبض حال اصحاب الربو في النفس ، فان هؤلاء على عظم انبساط صدورهم ما يدخلها من الهواء الا قال[15] . والوصف الدقيق هنا لنبض المريض يلفت النظر فهو يشيل اللحم حتى يعلو وينخفض لشدته وسببه توسع صمام الشريان الابهر الذي يجهد القلب لشدة خفقانه ولكنه لا يجهز الجسم بالدم النقي المحمل بالاوكسجين تجهيزا كافيا فيكون حال المريض كحال اصحاب الربو بحاجة الى المزيد من الهواء . وهذه الملاحظة لم يذكرها احد من الاطباء قبل الرازي .

وحالة اخرى ذكرها فقال : جاءني رجل من اهل دار الاموال ، وقد بدا به داء الثعلب في رأسه قدر اصبعين فأشرت عليه ان يدلكه بخرقة حتى يكاد يدمي ثم يدلكه ببصل . ففعل واسرف في ذلك مرات كثيرة حتى نقط ( أي ظهرت عليه فقاعات صغيرة ) . فأمرته ان يطلي عليه شحم الدجاج فسكن اللذع ثم تجاوز ، فنبت شعره في نحو شهر أحسن واشد سوادا وتكاثفا من الاصل[١٦] . والعلاج الذي ذكره الرازي هنا يأخذ به الطب الحديث ، فتنفط جلد داء الثعلب ضروري في حدوث الشفاء لانه ينشط بصيلات الشعر .

واخيرا فهناك حالات ذكرها الرازي عن مرضى راقدين في المارستان الذي يعمل فيه ، مصابين بداء الكلب ، قال عن احدهم انه كان ينبح بالليل ثم مات وكان الآخر اذا رأى الماء ارتعد واقشعر وانتفض حتى ينحى عنه[١٧] . وهذه الاعراض صحيحة تماما في نظر الطب الحديث حيث يصاب المريض بداء الكلب بتشنج في حنجرته كالكلب ، كما تعتريه حالة ( الخوف من الماء ) وهو عرض مميز لداء الكلب يدعى علميا وسببه الاختلال العصبي الحادث عنده .

## الهوامش

ـ وفيات الاعيان : ١٥٨/٥

ـ الطب العربي ـ الدكتور ادورد براون : ٤٨

ـ الحاوي : ٨٥/١٤

ـ الحاوي : ٢٨/١

ـ الحاوي : ٦٩/١

ـ الحاوي : ١٦٢/١

ـ الحاوي : ١٧١/٤

ـ الحاوي : ٩١/٥

ـ مقال في الايارجات ـ لرشيدالدين ابي الوحش المعروف بابي حليقة ـ القاهرة ـ ١٩٥٣ م/ص ٨٤

١٠ـ الحاوي : ١٨٥/١١

١١ـ المجس او المسبر : قضيب معدني دقيق يستعمله الجراح لسبر الجرح

١٢ـ النصبة لغة هي الغرسة التي تزرع في الارض ، وهي هنا الفتيلة التي تغرس في الجرح لتساعد على بزل السوائل منه ، والمعروف ان الرازي استعمل هذا الاسلوب في معالجة الجروح واخذها الاطباء عنه من بعده .

١٣ـ الحاو : ٤١/١٣

١٤ـ الحاوي : ١٨٩/١٦

١٥ـ الحاوي : ١٩٣/١٦

١٦ـ الحاوي : ٢٠٠/١٦

١٧ـ الحاوي : ٤١٦/١٩

# التعريف بكتاب الحاوي الكبير في الطب
# للطبيب أبي بكر محمد بن زكريا الرازي

الدكتور داود سلمان علي

## المقدمة :

يهدف البحث الى تعريف القاريء العربي بصورة عامة وطالب العلب بصورة خاصة بكتاب الحاوي الكبير في الطب للطبيب أبي بكر محمد بن زكريا الرازي نظرا لكونه من اهم المؤلفات في الطب العربي واضخمها وانه يعتبر موسوعة طبية للمعلومات والعلوم الطبية كافة المعروفة لغاية وفاة الرازي في بداية القرن العاشر الميلادي .

وقد ترجم الى اللاتينية في القرن الثالث‌عشر للميلاد وطبع في عدة مدن اوربية وظهرت عدة طبعات منه خلال القرن الخامس‌عشر والسادس‌عشر وكان يعد من أهم المصادر الطبية التي تظمها مكتبات معاهد الطب في اوربا في القرون الوسطى . ونأمل ان يحظى هذا الكتاب بأهتمام الباحثين العرب بعد ان قامت دائرة المعارف العثمانية في حيدرآباد الدكن بتحقيقه وطبعه ونشره ، واستمرت هذه العملية ابتداءا من عام ١٩٥٥ حين ظهر الجزء الاول منه وانتهى من اخراج المجموعة الكاملة في ٢٣ جزء عام ١٩٧١ . وحيث ان المؤسسة المذكورة لم تعد كشافا عاما للموضوعات كافة في اجزاء الكتاب فكان من المفيد اعداد ملحق لهذا البحث يتضمن الفهارس كافة ليكون سهلا على الطالب العثور على الموضوعات التي يريد الاطلاع عليها .

ابو بكر محمد بن زكريا الرازي من اعظم الاطباء واخصهم في الطب السريري ، ولد في منتصف القرن الثالث الهجري وتوفى في اوائل القرن الرابع ( القرن التاسع والعاشر الميلادي ) ومن اكثرهم واوفرهم في الانتاج والتأليف في الطب .

وقد اورد السامرائي[١] قائمة باسماء هذه المؤلفات بلغت ١١١ كتابا بدأها بكتاب المنصوري وآخرها كتاب أخلاق الطبيب .

وجاء في القائمة المذكورة ( الخامس ) كتاب الحاوي في الطب . وقد وصفه السامرائي بما يلي[٢] :

« هو موسوعة ضخمة في الطب جمع الرازي مادتها بخمس عشرة سنة مما يقرأه من كتب الاقدمين والمعاصرين وما يسمعه من المعاصرين وكان يشير ازاء كل ما يذكره في الكتاب الى المصدر الذي أخذ عنه فتكرر فيه ذكر ابقراط وجالينوس واوريباسيوس وابن ربن الطبري وروفس وبولص الاجنبي وابن سرابيون وابن ماسيويه وسابور بن سهل ومسيح الدمشقي واهرن القس وماسرجويه البصري وكان يشير الى هذا الاخير باليهودي كما اخذ عن آخرين كثيرين ربما نسي اسماءهم او أين قرأ عنهم فأشار اليهم بكلمة ( مجهول ) كما ادخل في الكتاب الكثير مما استخلصه من ممارساته الخاصة واشار الى ذلك بكلمة (لي) . وقد وجد محمد بن العميد مدونات الكتاب لدى ( اخت ) الرازي فاشتراها منها ودفعها الى من يفهم هذه الصنعة فجمع منها الكتاب الذي نعرفه بأسم الحاوي في الطب بثلاثة وعشرين جزء . وربما كان اسم الكتاب من وضع من جمع مسوداته الاولى لا من وضع الرازي . وعلى كل حال فان التسمية ناجحة وان الكتاب حاو لكل الفنون الطبية ما عدا العلوم الاساسية ( الكليات ) . والجدير بالذكر ان اسم كتاب الحاوي لم يرد ذكره في اي من مؤلفات الرازي وقد يؤيد ذلك ان الاسم ليس من وضع الرازي كما اسلفنا .

وقد حصل اليهودي الصقلي فرج بن سالم المتوفى سنة ٦٨٥ هـ/١٢٨٦م على نسخة ( من المخطوطات ) من كتاب الحاوي ونقلها الى اللاتينية سنة ١٢٨٠ م وصارت هذه الترجمة احدى تسعة كتب لتدريس الطب بكلية الطب بمكتبة باريس حتى سنة ١٣٩٥م وطبعت الترجمة بالبندقية سنة١٥٠٩.

اما مخطوطات اجزاء الكتاب فقد وجدت متفرقة بين مكتبة احمد الثالث وميونيخ ودار الكتب المصرية والمتحف البريطاني بودليان بأكسفورد والظاهرية بدمشق والاسكوريال في مدريد ( وهي النسخة الوحيدة الكاملة ) وبطرسبورغ والموصل وبارالله وبرتستون وسراي والسليمانية باستأنبول

وشهيد علي والمشهد الرضوي ورامبور وقد جمعت دائرة المعارف العثمانية في حيدرآباد الدكن هذه الاجزاء وطبعتها بثلاثة وعشرين جزءا .

وكتاب الحاوي على العموم مؤلف ليس كالمؤلفات الطبية المألوفة من حيث التبويب والشمول فهو اشبه بمؤشرات في الاقسام العملية من الطب وليس فيها من العلوم الاساسية الا الشيء اليسير » .

ثم يقـول[٣] :

« وينصح الرازي تلاميذه قائلا كما ورد في كتابه الفصول : ان كنت معنيا بالصناعة واحببت أن لا يفوتك ولا يشذ عليك شيء ما أمكن فاكثر جمع كتب الطب جهدك . ثم اعمل لنفسك كتابا تذكر فيه كل علة ما قصر الكتاب الاخر واغفله من كل نوع من العلل فيكون ذلك كنزا عظيما وخزانة عامرة . حافظا على الذكر ومسهلا لتناول ما تريده منه ان شاءالله » .

ومن هذه الوصية يستنتج السامرائي[٤] :

« فيما يخص جمع الكتب وتدوين ما يقال ويكتب عن الامراض وطرق العلاج لتكون هذه المدونات مرجعا يسهل الرجوع اليه عند الحاجة . وواضح أن الرازي اردف القول بالعمل فكتب لنفسه المدونات التي صار منها الحاوي الا ان الكتاب لضخامة حجمه واسلوب كتابته في عرض الامراض وتداويها لم يجتذب القراء لاستنساخه فبقي تداوله محصورا بين الموسرين والهواة فيجمع الكتب وقد تداول المارسون من بعده صورا مختصرة منه» .

ومن هؤلاء الاطباء :

رشيد الدين ابو سعيد بن يعقوب من اطباء القدس توفى عام ٦٤٦ هـ/ ١٢٤٨ م ، وضع كتاب « تعليق على كتاب الحاوي في الطب للرازي » .

ابن باجة الاندلسي ، وتوفى عام ٥٣٧ هـ/١١٤٢ م ، وضع كتـاب كتاب اختصار الحاوي في الطب » .

كمال الدين الحمصي من اطباء دمشق ، توفى ٦١٣ هـ/١٢١٥ م . كتاب « اختصار كتاب الحاوي في الطب » .

أبو الحسن علي بن عبدالله القريشي « المنتخب من الحاوي في الطب » وكذلك فعل ابن رشد فعمل مختصرا ، وابن التلميذ فعل الشيء نفسه .

وهناك عدد من الاطباء العرب ألفوا كتبا وأطلقوا عليها نفس الاسم « الحاوي » منهم :

الطبيب علي بن سليمان من أطباء القاهرة ايام العزيز بالله الفاطمي ، توفى ٤١١ هـ/١٠٢١ م ، وسماه « كتاب الحاوي في الطب » .

وابو الحسن بن كشكرايا المعروف بتلميذ سنان توفى ٣٥٧ هـ/٩٦٧ م وسماه « الكناش الحاوي » .

ونجم الدين محمود الشيرازي توفى ٧٣٠ هـ/١٣٢٩ م ، سماه « كتاب الحاوي في علم التداوي » .

ومما سبق يستحسن عند الرجوع الى كتاب الرازي ان يذكر الاسم الكامل « الحاوي الكبير للرازي » للتفريق والتأكيد على المقصود .

« ومن الجدير بالذكر ان هناك مخطوطة وحيدة فريدة في الطب تنسب الى الرازي في مكتبة ويلكم بلندن بأسم الحاوي ويتضمن هـذا الكتاب المخطوط مواضيع في كليات الطب وكثيرا من الميادين الاولى في طرق العلاج الادوية وبالحديد وهي موضوعات ليس لها ذكر في النسخة التي طبع منها الكتاب الحاوي الكبير في حيدرآباد الدكن . وربما كانت هذه النسخة الوحيدة ضمن الاوراق التي اطلع عليها من قام باعداد وترتيب وتسمية الكتاب كله بالحاوي في الطب تصورا منهم وظنا بانه الاسم الذي قرره الرازي نفسه» .

... كتاب الحاوي بالنسبة للقراء في الوقت الحاضر فأنه بالاضافة الى ما فيه من معلومات غزيرة عن طرق علاج المرض في ذلك الزمان والادوية المفردة والمركبة التي استعملت فيها فانه مصدر غزير لمعرفة ما كتبه الاطباء

الاخرون الذين اخذ عنهم الرازي من الكتب التي تعد اليوم من المفقودات فلولا الرازي لما عرفنا شيئا عن مضامين تلك الكتب التي لم تتطرق لها التراثيات العربية الاخرى ولا توجد لها تراجم لاتينية او عبرية بل ان بعض الكتب التي اخذ عنها الرازي لم تكن قد وردت اسماؤها في أي كتاب غير الحاوي . ويعتبر الحاوي على هذا الاساس ما يزال بكرا لم يعمل به الباحثون باهتمام وشمول ودقة(٥) .

ومن المفيد ان نطلع على رأي طبيب من مشاهير الطب العربي وهو علي بن العباس المتوفى ٣٨٤ هـ/٩٩٤ م أي بعد سبعين سنة من وفاة الرازي ويكاد أن يكون من اطباء عصره . يقول هذا الطبيب في كتابه المشهور « كامل الصناعة الطبية المعروف الملكي »(٦) عن كتاب الحاوي ما يلي :

« فاما كتابه المعروف بالحاوي فوجدته قد ذكر فيه جميع ما يحتاج اليه المتطببون من حفظ الصحة ومداواة الامراض والعلل التي تكون بالتدبير بالادوية والاغذية وعلاماتها ولم يغفل عن ذكر شيء مما يحتاج اليه الطالب لهذه الصناعة من تدبير الامراض والعلل غير انه لم يذكر فيه شيئا من الامور الطبيعية كعلم الاستقصات والامزجة والاخلاط وتشريح الاعضاء ولا العلاج باليد ولا ذكر ما ذكره من ذلك على ترتيب ونظام ولا على وجه من وجوه التعاليم ، ولا جزأه بالمقالات والفصول والابواب على ما يشبه علمه ومعرفته بصناعة الطب ، وتصنيفه للكتب . والذي يقع لي من أمره أو توهمه على ما يوجبه القياس من علمه وفهمه في هذا الكتاب احدى الحالتين : اما أن يكون وضعه وذكر فيه ما ذكر من جميع علم الطب ليكون تذكرة له خاصة يرجع اليها فيما يحتاج اليه من حفظ الصحة ومداواة الامراض عند الشيخوخة ووقت الهرم والنسيان ، او خوفا من آفة تعرض لكتبه فيعتاض منها بهذا الكتاب . وكذلك لكثرة تجريده من التعظيم ، وأما لان ينتفع الناس ويكون له ذكر حسن من بعده فعلق جميع ما ذكره فيه تعليقا ليعود فيه فينظمه ويرتبه ويضيف كل نوع منه الى ما يشاكله ويثبته في بابه على

ما يليق به معرفته لهذه الصناعة فيكون الكتاب بذلك كاملا تاما ، فعاقه عن ذلك عوائق وجاء الموت قبل اتمامه ، فان قصد به هذا الكتاب فقد طول فيه الكلام وعظمه من غير حاجة اضطرارية دعته الى ذلك ، حتى وقد عجز اكثر العلماء عن نسخه واقتنائه الا اليسير من ذوي اليسار من اهل الادب فقلّ وجوده وذلك انه ذكر في صفته كل واحد من الامراض واسبابها وعلاماتها وما قاله كل واحد من الاطباء القدماء والمحدثين في ذلك المرض من ابقراط وجالينوس الى اسحاق بن حنين وما كان بينهما من الاطباء القدماء والمحدثين ولم يترك شيئا مما ذكره كل واحد منهم من ذلك الا واورده في هذا الكتاب • وعلى هذا القياس فقد صارت جميع كتب الطب محصورة في كتابه هذا • وينبغي ان تعلم ان حذاق الاطباء ومهرتهم متفقون في وصفهم لطبائع الامراض واسبابها وعلاماتها ومداواتها وليس بينهم في ذلك خلاف الا بالزيادة او النقصان او في بعض الالفاظ اذا كانت القوانين والطرق التي يسلكونها في تعرف الامراض والعلل واسبابها ومداواتها طرقا واحدة بمبادئها ، واذا كان الامر كذلك فالحاجة الى ان يأتي باقاويل القدماء والمحدثين من الاطباء وتكرار اقاويلهم اذ كان كل منهم يأتي بمثل ما أتى به الاخر فانه لا خلاف بينهم في طبائع الامراض واسبابها وعلاماتها الا بالزيادة او النقصان واختلاف الالفاظ وان خالف بعضهم بعضا في استعمال انواع الادوية فليس بخلاف في قواها ومنافعها بمنزلة السفرجل والكمثرى والزعرور وبمنزلة الزنجبيل والفلفل فان هذه وان كانت مختلفة الانواع فليست بمختلفة القوى والمنافع الا بالزيادة او النقصان في ذلك فقد كان ينبغي له ولا ارد عليه ان يقتصر من اقاويل هؤلاء على البعض ويكفي باستشهاده على ما يحتاج اليه ويهتدي بافضلهم علما واشدهم تقدما بالصناعة واحسنهم وصفا واكثرهم تجربة ليخفف بذلك الكتاب على من يريد اقتنائه ونسخه ولا يطول الكتاب ويعظم ولينتشر ذلك في ايدي الناس ويكثر وجوده فاني الى حيث انهيت ما علمت ان نسخته الا عند نفسين من اهل الادب والعلم واليسار » •

انتهى النص المنقول من كتاب ( كامل الصناعة ) وقد نقلناه نصا كاملا لكونه يحتوي على آراء في كتاب الحاوي في الطب تتلخص فيما يلي :

١ ـ ان الكتاب كان ملخصا لما كان يقرأه الرازي من الكتب لتكون له مرجعا وبصورة خاصة عند بلوغه الشيخوخة ومرحلة النسيان .

٢ ـ ليكون مرجعا واوليات لكتاب ينوي اعادة كتابته بترتيب وتبويب كما هو الحال في الطريقة الاعتيادية وربما منعه من ذلك كونه اصبح معوقا بفقدان البصر ثم موته قبل ان يكمل العمل .

٣ ـ ان يحافظ على خلاصة الكتب وتكون عنده في حالة ضياع او تلف الكتب بآفة أي اراد بها مكتبة احتياط . ويعترف بان كتاب الحاوي يكاد ان يكون مكتبة كاملة للكتب كافة التي كانت متداولة في زمانه . يقول الدكتور البير اسكندر(٧) :

« لقد تضاربت اقوال الكتاب من اطباء القرون الوسطى الى حد المتناقضات حول الرازي ، والذي يعتبر من اكثر الاطباء الفلاسفة اصالة في الحضارة العربية الاسلامية وسأحاول أن اعرض بعض الادلة التي تصحح الاراء المنشورة عن مؤلفاته وبالدرجة الاولى عن كتابه المعروف بالحاوي .

ان هـذا الكتاب هو عبارة عن اوراق شخصية جمعها لاستعماله الشخصي وتمثل مكتبة يمكنه الرجوع اليها عند الحاجة ونستطيع الاتيان بالبراهين على ان هناك كتبا بكاملها لم تنشر في حياته موجودة ضمن الحاوي وبالنص الكامل وعليه يمكن القول بان الرازي كان يعد موسوعة طبية وقد سمّاها « الجامع الكبير» وتقع في اكثر من ١٢ جزء وقد وجدنا ثلاثة مجلدات مخطوطة من هذه المجموعة كانت قد سجلت خطأ باعتبارها أجزاء من كتاب الحاوي في مكتبة بودليان ومكتبة الاسكوريال . ومن هذه الكتب التي لم تنشر قبل وفاته « كتاب البول » وكتاب « الازمات والايام الصعبة » وكتاب « علاج النقاهة » هذه الكتب موجودة بنصها الكامل في المخطوطات المعتبرة اجزاء من كتاب الحاوي » .

ومن كتاب الحاوي يمكن القول ان الرازي كان لا يأخذ باقوال السابقين او المحدثين وما يجده في الكتب على علاته وقد اكد على ضرورة تحكيم العقل اذ أن العقل يحكم ولا يحكم ويعقل ولا يعقل ويقود ولا يقاد وعليه فانه ثار على ما وجده في الكتب من آراء لا يقبلها العقل واخذ بطريقة المتابعة والملاحظة والتدوين بصورة دقيقة عند الممارسة وطبق النظريات على التجربة العلمية ورفض مالا ينطبق منها على النتائج الصحيحة » فجمع من خبرته في هذا الكتاب وكتبه الاخرى من العلم والمعرفة ما اوصل الطب العربي الى مراحل متقدمة على جميع من سبقه من الاطباء» كمايقول اسكندر في هوامش البحث الى انه قارن المادة الموجودة في كتاب الحاوي بمادة كتاب القولنج ومادة كتاب المنصوري فوجدها بنص واحد كما انه يعتبر ان مصدر كتابه عن الجدري والحصبة جاء من مذكراته في الحاوي وان كتاب صيدلة الطب هو جزء من كتاب الجامع الكبير •

ويؤكد فؤاد السيد[٨] عند تعليقه على ترجمة الرازي التي اوردها ابن جلجل :

ان كتاب الحاوي هو كتاب الجامع الحاصر لصناعة الطب او الجامع الكبير وهو اعظم وأجل مؤلفات الرازي في الطب وقد كانت مسودات هذا الكتاب بعد وفاته عند اخت الرازي فبذل لها ابن العميد وزير ركن الدولة الديلمي دنانير كثيرة وحصل عليها وقام بترتيبها مستعينا بتلاميذ الرازي • ويوجد من هذا الكتاب نسخ واجزاء متفرقة في المكتبات وقد ترجم الى اللاتينية وطبع في برشيا بايطاليا سنة ١٤٨٦ ثم اعيد طبعه في البندقية عدة مرات بين ١٥٠٩ و١٥٤٢ » •

ويتفق فؤاد السيد مع ما جاء في كتاب القفطي[٩] وابن النديم[١٠] حول تسمية الكتاب ( بالجامع الحاصر لصناعة الطب ) •

ويفصل ابن النديم عن هذا الكتاب فيقول : يقع في ١٢ جزء • الجزء الاول علاج المرض والامراض • الثاني حفظ الصحة • الثالث في الرقبة

والجبر والجراحات . الرابع قوى الادوية والاغذية . الخامس في الادوية المركبة السادس صفة الطب . السابع صيدلة الطب . الثامن في الابدان . التاسع في الاوزان والمكاييل . العاشر في تشريح ومنافع الاعضاء . الحادي عشر في المدخل الى صناعة الطب ( مقالتان ) في الاولى الاسماء الطبية وفي الثانية اوائل الاطباء .

هذه الاجزاء من الكتاب الذي سماه ابن النديم الجامع الحاصر لصناعة الطب لم يذكر مكان وجود مخطوطاتها وانه كان الرازي يعده من الاوراق التي جمعت بعده وسميت بالحاوي .

اما علماء الغرب الذين درسوا تاريخ الطب بصورة عامة والطب العربي بصورة خاصة فقد أولوا الرازي قدرا كبيرا من العناية بمؤلفاته مؤكدين على الدور الذي لعبته هذه المؤلفات في نقل العلوم الطبية العربية الى الغرب في اوائل عصر النهضة فجاء في كتاب الطب العربي للمستشرق براون[١١] :

« كتاب الحاوي اهم واضخم آثار الرازي وان دراسة كتاب الحاوي مليئة بالمصاعب ، منها عدم وجود المخطوطات كاملة له في مكان واحد[١٢] وان أجزاءه موزعة بين عدة اماكن ، ثلاثة اجزاء في المتحف البريطاني وثلاثة اخرى في مكتبة بودليان في اكسفورد واربعة او خمسة في الاسكوريال باسبانيا وان عدد اجزائه مختلف في عددها . وان الترجمة اللاتينية تقع في ٢٥ جزء ولا علاقة لها بالاصل من حيث التسلسل وتنظيم المواضيع وقد حصل هذا الارتباك نظرا الى ان الكتاب ضخم جدا واكثره جمّعه تلامذته بعد وفاته من اوراق ناقصة خلّفها وكانت في حاجة الى العناية والتصنيف والتنظيم العام التي يستطيع المؤلف وحده ان يقوم بها وربما كان نفس الاسم الحاوي يطلق على كتاب آخر للمؤلف .

وكان كتاب الحاوي من الضخامة بحيث افزع النسّاخ ولذلك لم يكن في متناول الا الاغنياء من محبي الكتب ويقول علي ابن العباس انه يعلم

بوجود نسختين فقط . اننا نجهل النسخة الاصلية التي نقلت منها الترجمة اللاتينية اذ لم يذكر المترجمون من القرون الوسطى هذه التفاصيل » .

ثم يقول براون « ولهذه الصعوبات قمت بفحص الاجزاء التي وجدتها في المتحف البريطاني ومكتبة بودليان فوجدت ان اكثر هذه الاجزاء أهمية هو الموجود في مكتبة البودليان . ان الرازي فاق في تدوين ملاحظاته السريرية جميع من تقدموه ولذلك نجد ان المعلومات السريرية التي جاء بها الاطباء العرب القدماء أهم بكثير من المعلومات العقيمة من فسلجة وباثولوجيا وعلم التشريح المقتبسة من غيرهم .

وفي كتاب الحاوي يجد الباحث في الطب القديم العمل الذي يحتاج ان يكرس له جهده طوال حياته . وقد سجل الرازي بعض الوقعات الطبية السريرية التي اشتهرت الى درجة كبيرة وانتشرت فصارت تروى في كتب القصص والادب أمثال كتاب الفرج بعد الشدة للتنوخي المتوفى عام ٩٩٤ م وكتاب المقالات الاربعة ( جهـار مقالة ) الذي جمعـه نظامي العروضي السمرقندي المتوفى ١١٥٥ م .

ويستشهد براون بأبن أبي اصيبعة حـول هذه الحكايات فيقـول « للرازي اخبار كثيرة فيما حصل له من التمهر في صناعة الطب وفيما تفرد به من مداواة المرضى وفي الاستدلال على احوالهم من تقدمه المعروفة وفيما خبره من الوصفات والادوية التي لم يصل الى عملها كثير من الاطباء وله في ذلك حكايات كثيرة وقعت له وقد تضمنتها كثير من كتبه .

وفي المجلد السابع ما يطابق المجلد ١٧ من الترجمة اللاتينية اذ انها تحتوي الملاحظات نفسها التي ذكرها ابن ابي اصيبعة وسميت امثلة من قصص المرض وشرح لوقعات نادرة » .

اما دونالد كامبل مؤلف كتاب الطب العربي ، وهذا الكتاب لم يترجم حتى الان الى اللغة العربية مع كونه طبع عام ١٩٢٦ ويعتبر من المراجع المهمة

اذ انه من الكتب النادرة التي بينت بشكل وثائقي آثار الطب العربي على الحضارة الغربية وفي الجزء الثاني من الكتاب يقدم اسماء الكتب العربية التي ترجمت الى اللاتينية .

يقول كامبل[١٣] : « كان الرازي أعظم الكتاب في الطب العربي من حيث الاصالة وسار على منوال ابقراط وجالينوس في طريقتهم وتفكيرهم وكان يلقب بين معاصريه من الاطباء بالخبير المجرب وكان الطبيب السريري العظيم ومن المبتكرين في طريقة شرح الوقعات المرضية وتدبير المرضى . وتنسب اليه المؤلفات التي بلغت حوالي ٢٣٢ مؤلفا منها ١١٣ عملا كبيرا و٢٨ عملا صغيرا . ومن مؤلفاته التي أهتم بها الغرب في العصور الوسطى كتاب المنصوري وقد ترجمه جرارد الكريموني وطبع في ميلان عام ١٤٨١ وفي البندقية عام ١٤٩٧ وفي بازل ١٥٤٤ . اما كتاب الحاوي وسماه المترجمون Liber Continens فأنه أضخم وأهم اعماله وكان عبارة عن دائرة معارف للطب والجراحة اذ يحتوي على خلاصات لكل فروع العلوم الطبية في ٢٥ جزء كما جاءت في الترجمة اللاتينية والتي قام بها فرج بن سالم .

وكان كتاب الحاوي واحدا من تسعة كتب تضمها المكتبة الطبية كلية الطب في باريس عام ١٣٩٥ م .

ان الدارس لكتاب الحاوي يشعر بان الرازي قد تأثر بابقراط في آرائه النظرية وجالينوس في طريقته العلمية »

وفي مكان آخر يورد كامبل قول الرازي « عندما يتفق ابقراط وجالينوس في الرأي هنا تجتمع الحقيقة وعند اختلافهما يصبح من الصعب تبين الصواب وعليه يجب ان تتوصل اليها عن طريقة التمحيص العقلي وان الطبيب الماهر يعمل بموجب حكمته وخبرته واعتماده على العقل » .

اما الجزء التاسع يقصد به الترجمة اللاتينية من الحاوي الخاص بعلم الصيدلة فقد كان مصدرا للمعرفة في اوربا لمدة طويلة امتدت الى ما بعد عصر النهضة .

لقد طبعت الترجمة اللاتينية في بريشيا والبندقية في ايطاليا ١٤٨٦ و١٥٠٠م و١٥٠٦م و١٥٠٩ و١٥٤٢ وجاءت في ٢٥ جزء وبلغ وزنها حوالي ٩ كيلوغرامات. وقـد اعتمد الاطباء في الغرب من المؤلفين لكتب الطب على كتاب الطب العربي فيقول اوسلر ان كتاب فيراري في الطب الصادر عام ١٤٧١ يقتبس من الرازي الف مرة .

وقد انتشرت الكتب العربية المترجمة الى اللاتينية في جامعات اوربا ، في ايطاليا وفرنسا والمانيا والنمسا وانكلترا وكانت تعتبر من اهم المصادر في القرنين الخامس عشر والسادس عشر للدراسة وتعليم الطب فيها .

ومن اهم المؤلفات التي نقلت الى الغرب كانت كتب الرازي مثـل المنصوري والحاوي وكتاب الحصبة والجدري وكتاب القانون لابن سينا وكتاب الملكي لابن عباس المجوسي وكتاب التصـريف للزهراوي وكتب ابن رشـد .

اما سريل الغود عند حديثه عن الطبيب الرازي فيقول[١٤] : « تعتبر مؤلفاته الطبية من اعظم ما كتب في العربية ويمكن اعطاء الاولوية والاهمية لمؤلفه المسمى الحاوي . وتوجد له ترجمة الى اللغة اللاتينية قام بها اليهودي الصقلي فرج بن سالم بطلب من الملك شارلس الانجوي في سنة ١٢٧٩ م وطبعت هذه الترجمة في مدينة رشيا بايطاليا سنة ١٤٨٦ وتتوزع النسخ العربية المخطوطة على عدة مكتبات في مختلف انحاء العالم ونأمل ان تجمع وتطبع بالعربية في المستقبل[١٥] .

ان هذا المرجع يعتبر ذا أهمية كبرى للباحثين في تاريخ الطب العربي وربما فاقه شهرة كتاب القانون في الطب لابن سينا ومن دراسة كتاب الحاوي تبين للباحث الدور العظيم الذي قام به العرب في تقدم الطب . ومن المعتقد ان الرازي لم يكن يعمل على اعداده لكي يكـون كتابا واحدا في الطب ويمكن النظر اليه على انه كان يستعمله الرازي على شكل مذكرات يدونها

في قراءاته الواسعة والمستمرة طيلة حياته في كتب الطب ومن تدوين خلاصة تجاربه في معالجة المرضى او يكون له بمثابة المصدر للمادة العلمية لعدد من الكتب في مختلف الفروع الطبية تكون اصغر حجما واحسن تنظيما . وعلى العموم فان كتاب الحاوي في الطب يمثل خلاصة العلوم الطبية التي درسها الرازي واستنتاجاته وآرائه وخبرته في الممارسة السريرية مدة حياته .

وبعد وفاة الرازي بيعت اوراقه وكتبه ويقال انها كانت محفوظة عند اخته ( وهذه رواية غير مؤكدة بالوثائق التاريخية ) واشتراها ابن العميد وزير ركن الدولة . وكان ابن العميد على دراية واسعة بالعلوم والثقافة بالاضافة الى كونه رجل دولة فرأى ان يجمع عدد من تلاميذ الرازي ومعارفه واشهر الاطباء في مدينة الري ويطلب منهم دراسة الاوراق والمسودات والملاحظات التي خلفها الرازي واخراجها على شكل كتاب تحفظ هـذه المعلومات وهكذا اثمر تعاون هؤلاء على انتاج كتاب ضخم واطلقوا عليه أسم كتاب الحاوي في الطب ولضخامة العمل لم يكن من السهل استنساخ عدد كبير من النسخ وقد ذكر الطبيب علي ابن عباس في كتابه الملكي بعد مرور اكثر من نصف قرن على وفاة الرازي . ان الموجود من كتاب الحاوي حسب علمه نسختان فقط »

وقد ورد في كتب تاريخ الطب العام بعض الملاحظات التي تستحق التسجيل فيقول كمستون[١٦] « ان الرازي في كتابه الحاوي جاء بنظرية جديدة عن الحمى اذ قال انها ليس مرض بحد ذاته وانما هي عرض تدل على مرض وهي نتيجة رد فعل البدن اذ ان الطبيعة تحاول التغلب على المرض وانها علامة حسنة ( ج ٢٣ من الترجمة اللاتينية ص ٢٤٧ » وفي النسخة العربية ج ١٨ ص ١٣٣ )»[١٧] .

وسجلا سنغر واندروود[١٨] « ان كتاب الحاوي في الطب هو اعظم موسوعة في الطب اليوناني العربي وأهم أعمال الرازي فجاء أوسع واثقل كتاب ترجم الى اللاتينية وطبع في اوربا في ١٤٨٦ .

ويقول دوغلاس غوثري[١٩] « الرازي من أعظم الاطباء الذين نبغوا في الطب العربي ان لم يكن أعظمهم قاطبة ومن أهم أعماله الكثيرة في الطب هو كتاب الحاوي وبالحقيقة فهو موسوعة طبية علمية ترجمت الى اللاتينية ، واتبع فيها طريقة خاصة اذ سجل الوقعات الطبية بشكل يدعو للاعجاب ويستعمل طريقة الاستشهاد بأقوال الاطباء السابقين والمعاصرين له ثم يدلي بقوله في الحالات المرضية وتدبيرها وهو من اتباع ابقراط وتحتوي هذه الموسوعة على معلومات من مختلف العلوم بالاضافة الى المعلومات الطبية العظيمة الفائدة » .

واخيرا نسجل للعالم الفرنسي غوستاف لوبون[٢٠] : صاحب الفضل في نشر الحضارة العربية في اوربا في العصر الحاضر رأيه في كتب الرازي فيقول : « واشهر كتب الرازي كتاب الحاوي الذي جمع فيه صناعة الطب وترجم الى اللغة اللاتينية وطبع عدة مرات في عدة مدن في اوربا في القرن الخامس عشر والسادس عشر وظل يطبع حتى سنة ١٧٤٨ م . وظلت جامعات الطب في اوربا تعتمد على كتب الرازي زمنا طويلا وكانت مع كتب ابن سينا أساسا للتدريس في جامعة لوفان في القرن السابع عشر كما ثبت ذلك في برنامج التدريس الذي وضع سنة ١٦١٧ » .

والآن نأتي الى الطبعة العربية :

كتاب الحاوي في الطب للرازي لم يكن متوفرا للقاريء العربي لانه لم يطبع حتى عام ١٩٥٥ حين ظهر الجزء الاول من هذا الكتاب والذي اعتبره جميع الخبراء بالطب العربي القديم من أهم المصادر . وقد قامت دائرة المعارف العثمانية في حيدرآباد الدكن بالهند وبمعونة من حكومة الهند بتشكيل فريق من العلماء والباحثين في تحقيق المخطوطات العربية في الطب واخذ الفريق يبحث عن النسخة الكاملة من مخطوطات الكتاب فوجدها في مكتبة الاسكوريال القريبة من مدينة مدريد باسبانيا . وبالاضافة الى هذه النسخة جمعت نسخ أخرى من مكتبات ومجاميع شخصية ، واستمر طبع

الكتاب حتى اكتمل في عام ١٩٧١ وجاء في مجموعة مكونة من ٢٣ جـزء ويقع الجزء الثالث والعشرين في قسمين يكون كل قسـم منهما مجلدا • والطباعة جيدة جدا وجاءت الاجزاء كما يلي :

الجـزء الاول ـ في أمراض الرأس ( العضوية والنفسية ) •

الجـزء الثاني ـ في أمراض العين ومداواتها •

الجزء الثالث ـ في أمراض الانف والاذن والاسنان •

الجزء الرابع ـ في أمراض الرئة ومداواتها •

الجزء الخامس ـ في أمراض المريء والمعدة واعراضها ومداواتها •

الجزء السادس ـ في الاستفراغات والهزال وطرق العلاج فيها •

الجزء السابع ـ في أمراض القلب والكبد والطحال والثدي ومداواتها •

الجزء الثامن ـ في قروح الامعاء وأعراضها وتداويها •

الجزء التاسع ـ في الامراض النسائية والولادة •

الجزء العاشر ـ في أمراض الكلى والمثانة وتداويها •

الجزء الحادي عشر ـ في البواسير وديدان البطن وتداويها •

الجزء الثاني عشر ـ في السرطان والاورام والدماميل والدبيلات •

الجزء الثالث عشر ـ في الرض والفسخ وعلاجهما •

الجزء الرابع عشر ـ في الحميات والقيء والبراز والادوية المستعملة لهما •

الجزء الخامس عشر ـ في الامراض الحادة والحميات واعراضها وتداويها •

لجزء السادس عشر ـ في الدقة والذبول وأسبابها والادوية المستعملة لهما •

الجزء السابع عشر ـ في الجدري والحصبة والطواعين •

الجزء الثامن عشر ـ في البحـران •

الجزء التاسع عشر ـ في البول والعلامات الدالة منه على الامراض •

الجـزء العشرون ـ في الادوية المفـردة •

الجزء الحادي والعشرون ـ في الادوية المفردة •

الجزء الثاني والعشرون ـ في الصيدلة والاوزان والمكاييل •

الجزء الثالث والعشرون ـ (القسم الاول) في قوانين استعمال الاطعمة والاشربة .
( القسم الثاني ) فيما يعرض للجلد والشعر .
وبلغت المجموعة من الحجم فصارت تضم ٧٥٦٤ صفحة .

أما تفصيل المحتويات من الموضوعات في كل جزء منها فجمعت في كشاف ملحق بهذا البحث ( نظرا لكون المؤسسة الناشرة لكتاب الحاوي لم تطبع معه فهرست عام أو كشاف بمحتويات الكتاب ) لفائدة القراء والباحثين وتسهيلا للمطالعة .

وبنظرة سريعة على أجزاء الكتاب يمكن القول بأنه يحتوي على معلومات في مختلف الاختصاصات الطبية وهي الامراض العصبية والنفسية ، أمراض العين ، أمراض الانف والاذن والحنجرة ، أمراض الرئة والجهاز التنفسي ، امراض القلب ، أمراض الجهاز الهضمي ، أمراض جهاز البول ، أمراض النساء والولادة ، أمراض الجلد ، التغذية وحفظ الصحة العامة ، الامراض الحادة والامراض المعدية والحميات ، الاورام والسرطان ، الكسور والمفاصل والعظام ، بعض الامراض الجراحية ، العقاقير وعلم الصيدلة والمداواة بكل انواعها .

من هذا يصبح القول أن كتاب الحاوي في الطب هو موسوعة للعلوم الطبية التي كانت معروفة حتى سنة وفاة الرازي ٩٢٦ م قبلها او بعدها بقليل ( غير متفق عليه ) .

الخلاصـــة :

يستنتج من أقوال الكتاب والباحثين في تاريخ الطب العربي مايلي :

١ ـ ان الكتاب المعروف بالحاوي الكبير للطبيب الرازي لم يكن هو الذي قام بتأليفه كما وصل الينا . ولا هو الذي اطلق عليه هذا الاسم .
٢ ـ كان الرازي كثير القراءة واسع الاطلاع عظيم الملاحظة في تدبير علاج المرضى وكان يدون ملاحظاته واستنتاجاته الشخصية ، بعد ان يطلع على أقوال كل الاطباء الذين سبقوه ويلخص ويدون هذه الاقوال .

٣ ـ تجمعت لديه الكثير من هذه المدونات واختلفت الاراء في طريقة استعمال الرازي لهذه المختصرات والمسودات ، هل كانت مذكرات أم ملخصات تعينه على الاستذكار او مكتبة بديلة يحتفظ بها مخافة ان يفقد كتابه الاصلي . أو أن تكون مرجعا لمؤلفات ينوي اخراجها كما اخرج كتاب المنصوري وكتاب الحصبة والجدري وغيرها . وقد تعطل عن القيام بذلك بسبب فقدانه البصر ثم وفاته قبل ان يتم انجاز ما كان ينوي من تأليف موسوعة في الطب سماها « الجامع الحاصر لصناعة الطب » .

٤ ـ بعد وفاته حصل الوزير ابن العميد على جميع أوراق الرازي وكلف فريق من الاطباء بجمعها في كتاب وقد فعلوا ذلك اذ ضموا كل ما وجدوه من مسودات في كتاب واحد صار ضخما لدرجة كبيرة اصبح من الصعب على النساخ كتابته باعداد كبيرة بالاضافة الى تكاليف النسخ فلم ينتشر منه الا العدد القليل .

٥ ـ جاء تنظيم المادة والموضوعات في الكتاب والذي اطلقوا عليه اسم الكتاب الحاوي في الطب جاء بصورة جلبت النقد الكثير ففيه التكرار وعدم التبويب المتبع في تنظيم الكتب .

٦ ـ توزعت مخطوطات الكتاب على عدد كبير من المكتبات في مختلف انحاء العالم فكان من الصعب وجود النسخة الكاملة في مكان واحد .

٧ ـ وجد الكتاب اهتمام كبير من الغرب في القرون الوسطى فترجم الى اللاتينية في القرن الثالث عشر وظهر في ٢٥ جزء ثم طبع عدة طبعات في القرنين الخامس عشر والسادس عشر وكان يعتبر من أهم المراجع في المكتبات والمعاهد الطبية في اوربا .

٨ ـ تأخر صدور الطبعة العربية الكاملة حتى سنة ١٩٥٥ بعد ان تبنت المشروع دائرة المعارف العثمانية في حيدرآباد الدكن بالهند وتتابع ظهور الاجزاء حتى اكتملت الطبعة في ١٩٧١ وتمت في ٢٣ جزء .

٩ ـ يعتبر كتاب الحاوي في الطب من أهم المؤلفات في الطب العربي القديم وهو كنز في العلوم الطبية وبحاجة الى دراسات معمقة يقوم بها عدد من الباحثين المتخصصين • ومن المفيد جدا ان يقوم عدد آخر من العاملين في هذا الحقل باعادة تنظيم المادة وترتيبها لوضع الموضوعات المكررة مع بعضها وحذف الزائد وشرح المهم •

١٠ـ واخيرا لقد جاء في هذا الكتاب الدليل القاطع والبرهان الذي يرد على المستشرقين الذين يدعون بان الطب العربي كان مجرد طب منقول من الطب اليوناني والرد يأتي كما جاء به الرازي من معلومات اصيلة في الطب السريري واضاف الكثير الى العلوم الطبية والطرق السريرية في معالجة المرض ويسجل كل هذه الملاحظات عند ذكرها بالكتاب مؤشرا بقوله ( لي ) بعد ان يستشهد بأقوال غيره من الاطباء •

١١ـ يحتوي الكتاب على موضوعات تشمل الاختصاصات الطبية كافة من الرأس الى القدم • الامراض العصبية والعقلية ، أمراض العيون ، أمراض الاذن والانف والحنجرة ، جهاز التنفس ، جهاز الهضم ، جهاز البول ، جهاز التناسل ، الامراض النسائية والولادة ، أمراض المفاصل والكسور ، الحميات والامراض المعدية ، امراض الجلد ، الصحة العامة التغذية والبيئة ، الطب والصيدلة والمفردات في الادوية وعلم التداوي ، أخلاق الطبيب ومعاملة المرضى •

# الهوامش

(١) السامرائي ، كمال . مختصر تاريخ الطب العربي ج٢ ص ٥١٠/٥٢٧ طبعة ١ ، بغداد ١٩٨٤ .

(٢) نفس المصدر ص ٥١٣ .

(٣) نفس المصدر ص ٥٠٣ .

(٤) نفس المصدر ص ٥١٦ .

(٥) نفس المصـــدر ص ٥١٧ .

(٦) علي بن العباس المجوسي : كامل الصناعة الطبيـة ج١ ص٥ و٦ ، القاهرة ١٨٧٧ .

(٧) البير اسكندر خبير في المخطوطات العربية في مكتبة متحف ويلكم للطب في لندن ويعتبر من الخبراء في مؤلفات الرازي وقد القى بحثا عن الرازي وكتابه الحاوي في مؤتمر الطب الاسلامي في الكويت ونشر في مجلد الجزء الاول من كتاب المؤتمر عام ١٩٨١ ص ١٩٤ .

(٨) فؤاد السيد ، محقق كتاب طبقات الاطباء والحكماء لابن جلجل ، طبعة القاهرة ١٩٥٥ في هامش الشرح رقم (٧) ص ٨٧ .

(٩) القفطي ، تاريخ الحكماء ص ٢٧٤ طبعة اليبزك ١٩٠٣ .

(١٠) ابن النديم ، الفهرست ، ص ٤٣١ طبعة القاهرة .

(١١) براون ، جورج . كتاب العربي ، ترجمة د. داود سلمان علي ، الطبعة الثانية بغداد ص ٥٢ ـ ٥٣ ، ( ١٩٨٦ ) .

(١٢) كان هذا القول سنة ١٩٢٠ اي قبل اكتشاف المخطوطات الكاملة الموجودة حاليا في الاسكوريال .

(١٣) كامبل ، دونالد . الطب العربي واثره في الغرب في العصور الوسطى ، مجلدين ، لندن ١٩٢٦ ، المجلد الاول ص ٦٥ ـ ٧٢ ( باللغة الانكليزية)

(١٤) الغود ، سريل Cyril Elgood تاريخ الطب في عصر الخلافة في المشرق وبلاد فارس ، ص ١٩٩ ـ ٢٠٠ ، طبعة كمبردج ١٩٥١ . ( باللغـة الانكليزية ) .

(١٥) ورد هذا القول قبل قيام دائرة المعارف بحيدرآباد الدكن بالهند بطبع الكتاب ونشره عام ١٩٥٥ ـ ١٩٧١ .

(١٦) كمستون . تاريخ الطب . طبعة لندن ١٩٢٦ ص ١٩١ ( بالانكليزية ) .

(١٧) تعليق الباحث .

(١٨) سنغر واندروود . مختصر تاريخ الطب ١٩٦٢ اوكسفورد . ص ٧٤ ( بالانكليزية ) .

(١٩) دوغلاس غوثري . تاريخ الطب ص ١٨ ــ ٩٠ ، طبعة لندن ١٩٦٠ ( انكليزي ) .

(٢٠) غوستاف لوبون ، حضارة العرب . ترجمة عادل زعيتر . الطبعة الثالثة، القاهرة ١٩٥٦ ، ص ٤٨٦ .

## مصـــادر البحـث :


١ ـ السامرائي ، كمال . مختصر تاريخ الطب العربي ، جزءان ، الطبعة الاولى ، بغـداد ١٩٨٤ .

٢ ـ علي بن العباس المجوسي ، كامل الصناعة الطبية ( الملكي ) القاهرة ١٨٧٧.

٣ ـ اسكندر ، البير . كتاب مؤتمر الطب الاسلامي ، الكويت ١٩٨١ .

٤ ـ فؤاد ، سيد . طبقات الاطباء والحكماء لابن جلجل ، القاهرة ١٩٥٥ .

٥ ـ القفطي ، تاريخ الحكماء ، ليبزك ١٩٠٣ .

٦ ـ ابن النديم ، الفهرست ، القاهرة ، د. ت .

٧ ـ براون ، جورج . الطب العربي ، ترجمة داود سلمان علي ، الطبعة الثانية ، بغـداد ١٩٨٦ .

٨ ـ كامبل ، دونال . الطب العربي واثره في القرون الوسطى ، جزءان ، لنـدن ١٩٢٦ .

٩ ـ الغـود ، سريل . تاريخ الطب في عصر الخلافة في المشرق وبلاد فارس كمبردج ١٩٥١ .

١٠ـ كمستون ، تاريخ الطب ، لندن ١٩٢٦ .

١١ـ سنغر واندروود ، مختصر تاريخ الطب ، اوكسفورد ١٩٦٢ .

١٤ـ كتاب الحاوي الكبير في الطب ، ٢٣ جـزء ، مطبعة حيدرآباد الدكن ١٩٥٥ ـ ١٩٧١ .

# اصالة الطب السريري عند الرازي

الدكتـــــور

داود الثامـري

كليـة الطب ـ جامعـة بغـداد

الفروق :
كلام في الفروق بين الامراض :
ما الفـرق :

## ابو بكر محمد بن زكريا الرازي

على الرغم من أن مساهمة الطب العربي في تقدم وتطور العلوم الطبية الحديثة حقيقة ثابتة لا جدال فيها ، الا انه من المؤسف ان نجد ان كثيرا من الحقول المهمة في هذا المجال الكبير لم تعط ما يناسبها من الاهمية والاشارة اليها من مؤرخي الطب وخاصة في الغرب . ومن الامثلة الصارخة والبارزة أن ما يعطى للعرب من حق يقتصر على علم الادوية والعقاقير بينما تهمـل المساهمة في النواحي السريرية والحقائق الطبية الاخرى أو ان يساء فهمها . هنا يبرز أسم الرازي المعروف في الغرب ــ رازيس ــ بوضوح وشموخ فهو الذي كتب في الطب والكيمياء والفلسفة والعلوم الدينية .

ان اعمال الرازي الطبية التي ترجمت الى اللاتينية تحوي فصولا في الحصبة والجدري كما لا ننسى كتابه الحاوي . اما ملاحظاته السريرية فقد نشرها وعلق عليها مايرنهوف ، ومن الملت للنظر ان تمر قرون على ما كتبه الرازي بدراسة واقعية مبنية على خبرة طبيـــة كبيرة واسماه ــ الفروق أو كلام في الفروق بين الامراض أو ما الفرق ــ والذي حققه ونشره الاستاذ سلمان قطاية معتمدا على ثلاث نسخ من المخطوط موجودة في مكتبة الاوقاف العراقية ومكتبة ملي ملك في طهران ومعهد التاريخ الطبي في مكتبة ولكم ، واحسن النسخ هي الموجودة في وازرة الاوقاف والتي اعتمدها للتحقيق بعد ان قمت بتصويرها وارسالها اليه .

يعتبر التشخيص السريري أهم ركن من اركان الممارسة الطبية العلاجية على الالم والمرض ومحاولة مداواته لشفائه وبعدها متابعته لتقدير درجـة تحسنه وتأثير المرض عليه وبعدها محاولة منع اصابته بالمرض مستقبلا وهو ما نطلق عليه الوقاية .

ان هــذه العملية التشخيصية تجري في دماغ الطبيب المعالج بمقارنة ما يعطى المريض من معلومات على شكل شكاية ومعانا وما يقوم به الطبيب من فحص سريري تقارن مع ما لدى الطبيب من علم وخبرة بعدهـا ينطق الطبيب بان المرض هو كذا ولكن قد تتشابه الامراض كثيرا وينتج عن تفكير الطبيب تشخيص لاكثر من مرض واحد لنفس الشكاية والفحص السريري .

هنا يلجأ الطبيب الى عملية اخرى وهي ما نطلق عليها التشخيص التفريقي Diff Diagnosis فهو يقوم بمقارنة هذه الامراض وترك ما لا يتماشى مع ما يشكو منه المريض وما ظهر نتيجة الفحص السريري ومع ما لا يقبله حســه وتفكيره العلمي .

وفي ايامنا هــذه اضيف لذلك ما يظهر من نتائج المختبر والتحليل والاشعة المتقدمة والتي كان الطبيب العربي يفتقر اليها ، وجل ما توفر لديه هو النظر للبول ورجه وشمه وتذوقه أحيانا وما يطلق عليه الرازي فحص القارورة .

من ذلك يتبين أن أصعب ما في عملية التشخيص هي ما نطلق عليــه التشخيص التفريقي والذي يعتمد على علم الطبيب وخبرته وطول ممارسته وذكائه وقوة ملاحظاته ، فكيف اذا كان ذلك الطبيب كاتبا ومؤلفا لكتاب سريري في هذا الجانب الصعب من الممارسة الطبية ؟ فكتاب ما الفرق أو كلام في الفروق في مقدمة كتابه فهو يقول ما معناه : انني لما رأيت أطباء هذا الزمان يحفظون من المرض ما يعرفونه من الكتب ، وقد تتشابه هذه الامراض والاعراض وهنا يصعب التشخيص على الطبيب اعتمادا على ما تذكره ، لان العملية لا تعتمد على التفريق بين ما يتشابه من الامراض لذا اردت ان اجمع ما يتشابه وما لا يتشابه في كل مرض وشكاية لاسهل عمل الطبيب في الممارسة اليومية عندما يصادف شكاية متشابهة واعراض لاكثر من مرض وفحص سريري متشابه لعدة امراض .

وأود ان اقرأ ترجمة حرفية لكتاب فرنج في التشخيص التفريقي المؤلف عام ١٩٣٢ م ، والذي ورد فيه :

ان هذا الكتاب هو رسالة في استعمال التشخيص التفريقي لكل العلامات والاعراض المهمة للامراض ، وهدفه ان يسهل الممارسة الطبية للاطباء عندما تبرز الصعوبات في الوصول للتقدير المحدد لسبب اي عرض يشتكي منه المريض وهو يغطي مختلف حقول الطب ، وهذا الكتاب ما يزال يعتبر مصدرا من المصادر التي تنقح سنويا وينشر كأحد الكتب التعليمية المهمة . الا تجبرنا هذه المقدمة أن نقف وقفة اجلال للطبيب العربي متمثلا بالرازي . وان نطالب بوضع الحق في نصابه ولسنا مطالبين بادعاء لا نملك له من الاسس او الادلة الثابتة .

تعتمد نظرية الرازي في التشخيص التفريقي على وضع السؤال الاساسي وهو : ما هو الفرق بين الامراض ومم يتكون ؟ ثم يخبرنا كيف نفتش عن هوية محددة لهذا الفرق لمرضين او اكثر متشابهين ظاهريا ؟

ان الفرق لا يبنى على اساس فهم حقيقة ذلك الفرق والى اي مجموعة يعود ، ولكن يبنى على قاعدة المشاهدة السريرية المختلفة عند الفحص والمشاهد .

ولو طبقنا هذا على أمراض الرأس ، ولو عدنا الى الرازي لوجدناه هنا يحاول التفريق بين حالات سريرية متشابهة لكنها تختلف من ناحية السبب المرضي . وعند التدقيق في ما نعمله اليوم كأطباء نجد انه لم يضف كثيرا لما مارسه الرازي ونمارسه اليوم .

فهو لا يضع الامراض التالية للتشخيص التفريقي لامراض الدماغ « او ما نسميه الجهاز العصبي :

١ ـ الارق نتيجة التيبس والمواد المهيجة .

٢ ـ النوم العميق والاغماء .

٣ ــ الاغماء نتيجة اضطراب فسلجي أو نتيجة ورم داخل الدماغ •
٤ ــ النوم العميق والتصلب •
٥ ــ اورام الدماغ واغشيته •
٦ ــ الصداع نتيجة سوء عمل الدماغ أو ضعفه •
٧ ــ الصداع نتيجة نقص الدماغ او ضعفه •

وهو يتبع هذا التصنيف بتفسير مطول لكل واحد منها ، ولو اخذنا الاغماء المتسبب نتيجة اضطراب فسلجي ــ حسب مفهومه في ذلك الوقت وحسب نظرية الاخلاط التي كانوا يفسرون بها الاضطراب الفسلجي وبين الاغماء الناتج عن ورم داخل الدماغ ، وجدنا انه يقول في هذا المجال :

الاغماء موجود في الاثنين ، ولكنهما يختلفان في السبب ، لذا وجب تفريقهما سريريا بالاضافة الى الطريقة التي يختلفان بها ، سببيا ، فالاول يحدث بصورة مفاجئة بينما نجد ان الاغماء نتيجة لورم الدماغ يستغرق وقتا نتيجة الحاجة الى نمو الورم الدماغي • كما ان الورم الدماغي مصحوب بحمّى وأحيانا باختلال في قابلية التخيل •

ما هو الفرق بين نمو ورمي داخل الدماغ ونمو ورمي داخل الاغشية أو فيها ؟

على الرغم من اشتراكهما في المضاعفات الناتجة عنهما لكنهما يختلفان في محل الحدوث والاصابة ، ومن ثم الاعراض التي تنتج عن ذلك • لذا نجد ان أهم الاعراض الدالة قد تكون بطبيعة الالم الذي يكون كشعور بالثقل واعمق الالم ، وعندما يكبر حجم الورم قد يؤدي ذلك الى اختلال عقلي •

ان اضطراب الإحساس موجود من البداية اضافــة الى الاضطرابات النفسية والتصرف • ان النبض متذبذب على الرغم من عدم وجود الحمى • لكننا نجد ان ورم أغشية الدماغ يسبب ألما حادا من النوع الخارق يحس به في منطقة الجبهة وأعلى الرأس ويكون النبض قويا ويشبه المنشار • مصحوبا

بحمّى عالية كما ان الاضطراب العقلي اقل حدة وان ظهر فإننا نجد ان ظهوره متأخرا .

ان التشابه بين الامراض قد يكون في الاعراض الناتجة عنهما وهـو وهو يتطرق الى مثال واقعي وهو التهاب الرئة والتهاب الجنب . فهما متشابهان لدرجة كبيرة وهو هنا ينصح بأن نحدد ملاحظاتنا في الاشياء المتشابهة في كلا المرضين ، حتى نستطيع ان نفرق بين ما نصل اليه واغفال ذلك قد يكون خطرا على المريض . ومن الامثلة اخرى محاولته التفريق بين السعال الحاصل نتيجة التهاب القصبات الهوائية ومادة الرئة نفسها .

بالنسبة له ان المادة المسببة لذلك هي البلغم ، ولكنهما يختلفان في المحل والاعراض الناتجة عن ذلك . في الحالة الاولى نجد ان السعال خفيف اشبه ما يكون بعمل تنظيف البلعوم وذلك لكون البلغم ينتج في المناطق العلوية من الجهاز التنفسي ، وهو غير مصحوب بعسر تنفس ، بينما نجد ان السعال في ذات الرئة اشد حدة وقوة ، والبلغم ناتج من المناطق السفلى وهو مصحوب بعسر تنفسي . لذا نجد ان الفرق بين الحالتين ناتج عن محل ونوع البلغم ، وكذلك العسر التنفسي . ومثال آخر هـو تضخم الكبد وتضخم كيس الصفراء . ففي حالة تضخم الكبد هنالك شعور بالثقل والالم ويكون البول تالفا ، ويكون النبض ضعيفا . بينما نجد أن أهم علامة تفريقية هي حدة الالم في التهاب كيس الصفراء الذي يكون حادا ويبقى البول صافيا .

ولو أخذنا مثالا آخر لاحتباس البول لوجدناه يقول : ان الاحتباس الناتج عن فشل عمل الكلى يؤدى الى وجـود مثانة فارغة بينما نجد ان الاحتباس الناتج عن انسداد خارج المثانة لوجدنا المثانة مملوءة بولا والتي أمكن حسها باليد مملوءة ومتمددة .

ان الكتاب مملوء بالامثلة الكثيرة ، وفي الواقع نجد ان الرازي يستمر بالتفريق بين الامراض في جميع فصول الكتاب .

من المهم ، والملفت للنظر أن نلاحظ ان الرازي لم يسبقه أحد في كتابة مثل هذا الجهد حسب الادلة المتوفرة لدينا ، ويمكن اعتباره الاول من نوعه في زمانه .

والسؤال الذي يرد هو كيف يمكن تدريس الاطباء دون وجود دليل يساعدهم على التشخيص التفريقي بين الامراض للوصول الى التشخيص المرضي .

ان التشخيص التفريقي ، وكما سبق وان ذكرت يشكل حجر الاساس في الممارسة السريرية . والسؤال الذي يرد : متى تم ممارسة ذلك من قبل الاطباء الذين عرفوا في زمانهم بطاعتهم لاساتذتهم والاندفاع للتعلم ؟ فكيف الحال ان نجد شخصا مثل الرازي يقوم بكتابة هذا الكتاب دون وجود مراجع وكيف تساعده على اتمام عمله ، وهنا يبرز دوره في الاسهام الطبي للمكتبة الطبية في عصر الدول الذي نعجز نحن ، مع الاسف الشديد، عن القيام به ، على الرغم من الامكانات والوسائل كافة وشكرا .

## المصـــادر العربيـــة


ـ قاموس المعارف العلمى : ٣٢٣ـ٣٢٦

ـ الحاوي ـ حيدرأباد ـ الهند ـ ١٩٥٥ ـ ١٦٦٨ م

ـ م . ماير نهوف ـ ثلاثون ملاحظة ومشاهدة طبية للرازي : ١٩٣٣/٢٢ م ايزيس

ـ كتالوج المخطوطات العربية الطبية والعلمية في مكتبة ولكم ـ لمعهد التاريخ اسحق اسكندر .

ـ وزارة الاوقاف والشؤون الدينية ـ مخطوطة ـ مؤلفات الرازي .

ـ بروكلمان ـ لايدن ـ ١٩٤٣ م

ـ لاكلير ـ تاريخ الطب العربي ـ باريس ١٨٧٦ م ج٢

ـ ابن ابي اصيبعة : عيون الانباء .

ـ فرنج ـ التشخيص التفريقي ـ ١٩١٢ ـ هريت فرنج ـ مطبعة رايت ١٩٧٩ م .

## REFERENCES


1. Dictionary of Scientific Biography. Page 323 — 326.
2. Al-Hawi, The most Voluminous of Razi's medical work ( Hyderabad. 1955 - 1968 ).
3. M. Myerhof, Thirty three clinical observations by Rhzes, in Isis, 23 (1933), 322 FF.
4. A catalogue of Arabic Manuscripts on Medicine and Science. The mellcome Historical Library by A. Z. Iskander, (D. Phill).
5. Mninstry of Religious Affairs, Index: Manusoript of Al-Razi Publication.
6. Brockelmann, C, Geschicte der arabischen Litteratur, Lieden, 1943, Vol. 1, 1949 Vol. II.
7. Le Clerc, L. Historise de la midecine Arabe, Paris 1876, 2 Vols.
8. Muller, A., A., Ibn Abi, Usaybia, Uyun L-Anba, Fi Tabaqat L-Alibba', Cairo and konigesberge, A. H. 1299/ A.D. 1882/A.H. 1302/A.D 1884, 2 vols.
9. FRENCH'S Index of Differentail Diagnosis, Herbert French March, 1912 Wright 1979.

# الامومة والطفـولة عند الرازي

**الدكتور محمود الحاج قاسم محمد**

**مستشفى الاطفـال**

**الموصـل ـ العـراق**

**اولا ـ الامومة عند الرازي**

لقد ادرك الرازي كغيره من الاطباء العرب والمسلمين ومنذ امد بعيد بان رعاية الطفل الصحيحة تبدأ وتستمر من رعاية الام خلال فترة الحمل باعتبارها الينبوع الذي يمد المجتمع بالاطفال وان رعايتها جزء لا يتجزء من رعاية الطفل .

لذلك نجده قد اولى الطفل عناية خاصة فكتب الكثير عن المسائل التي لها علاقة بالحمل ورعاية الام اثناء الحمل والاجراءات الواجب اتخاذها الحفاظ على الجنين من الاسقاط ومساعدة الام لاتمام عملية الولادة بيسر وسلام ، والاجراءات الضرورية لتلافي عسر الولادة . وجمع كل ذلك ، وأمورا اخرى ذكرها بالتفصيل في جزء مستقل من أجزاء كتابه الحاوي . نذكر فيما يأتي نماذج مما جاء فيه على سبيل المثال متوخين الايجاز خشية الاطالة :

**١ ـ علامات الحمل :**

ان العلامات التي ذكرها الرازي للحمل لا تختلف كثيرا عما هو متعارف عليه في علم الولادة اليوم . يقول : « اذا رأيت احتباس الطمث .. وذهاب الشهوة واضطراب واقشعرار وغثى وشهوة الاشياء الرديئة فقل للقابلة تجس عنق الرحم فان كان ضخما بلا صلابة دل على حبل »[١] .

ويقول « علامات الحبل : انضمام فم الرحم . ج/فم الرحم ينضم عند الاشتمال وعند الورم فيه ، والفرق بينهما ان مع الورم صلابة والمنضم للاشتمال لا صلابة معه بل هو على الحال الطبيعية ، وقد تدخل القابلة اصبعها فتعرف ذلك »[٢] .

« علامات الحبل : اذا لم يجر الطمث في اوقاته ولم يحدث لها قشعريرة ولا حمى ولكن عرض لها كرب وغثى وخبث نفس علقت »[٣] .

وذكر في الكلام عن الحبل والولادة بان : « النساء اللواتي يشتملن سريعا بنات خمس عشرة سنة الى أربعين سنة ، ولا تكون ابدانهن جاسية ولا رخوة وأرحامهن كذلك تكون ويكون طهرهن معتدلا .. معتدلات الدم ويكون الرحم قريبا من الفرج »[٤] .

**٢ ـ العنايـة بالام الحامـل :**

نصائحه للام الحامل من ناحية الغـذاء والرياضة والراحة لازالت مقبولة اليوم ، يقول :

« ينبغي أن تلزم الحامل في أول حملها السكون وتقلل الغذاء وبعد ذلك تمشي قليلا وتلزم الحمام باعتدال ولا تبطيء وتتغذى بكل سريع النضج وتجتنب كل حريف وكل مر نافخ »[٥] .

ويقول : « ثم تلزم الجماع .. واذا عرض للحامل شهوات رديئـة فالزمها اغذية لطيفة جيدة والحمام والطعام المقوي للمعدة ويشرب شرابا مرا بالمادة »[٦] .

وقال : « واصلح ما يستعمل الحبالى من الرياضة المعتدلة واسهال الطبيعة بأغذية باعتدال والخبز النقي ولحوم الطير والاسفيذباجات القليلة الدسم والشحم .. والزبيب والرمان والسـفرجل والكمثرى والقوابض والتفاح »[٧] .

**٣ ـ الاسـقاط واسـبابه :**

علامات الاسقاط التي ذكرها الرازي هي في جملتها صحيحة ، يقول :

« اذا كانت حاملا تهزل ثدياها دفعة فتوقع أن تسقط »[٨] .

ويقول : « علامة الاسقاط ـ اذا جرى اللبن في ثدي الحامل دل على ضعف الطفل ، ومتى كان الثدي مكتنزا فالطفل اقوى واصح »[٩] .

ويوجز اسباب الاسقاط بـ :

١ ـ الاصابة بمرض ( كالاسهال والحمى ) .

٢ ـ الحركة العنيفـة .

٣ ـ عوامل نفسية ( كالفزع ، والغضب ، والفرح المفرط ) .
٤ ـ سـوء التغذية .
٥ ـ مرض في جدار الرحم .
٦ ـ السمنة المفرطة .

يقول : « متى كانت المرأة لا مرض فيها ظاهر واسقطت في الشهر الثاني والثالث بلا سبب بين ظاهر : لا حمى ولا وثبة ولا فزعة ولا من اخلال غذاء ولا من فصد ولا من اسهال ونحو ذلك ، فافواه العروق التي تنتهي الى الرحم التى بها تتعلق المشيمة مملوءة رطوبة مخاطية ، وهذه الافواه تسمى النقر ، ولذلك تزلق المشيمة كما هي وتسـقط لثقل اذا ثقل . في الحمل السمينة جدا اذا لم تحمل فان الثرب قد ضغط لكثرته وغلظة فم الرحم فمنع أن يدخل المني في فم الرحم فلا تحمل هذه حتى تبزل »[١٠] .

**٤ ـ الولادة الطبيعية وتعسرها :**

يقول الرازي : « خروج الجنين الطبيعي : أن يخرج رأسه ، والمجنب والمنطوي وعلى ركبتيه وفخذيه هذا الخروج غير طبيعي »[١١] . وهـذا ما يؤكده أطباء الولادة اليوم .

وأسهب الرازي في ذكر أقوال العديد ممن سبقوه من الاطباء في ذكر أسباب تعسر الولادة الا اننا نكتفي بهذا القول الذي يعتبر خلاصة شاملة .

يقول « بولس : عسر الولادة يكون اما من أجل الوالدة او من اجل المولود او من أجل المشيمة أو الاشياء التي من خارج . أما من اجل الوالدة: فان تكون سمينة أو صغيرة الرحم او لم تلد من قبل او لانها حارة او لان رحمها فيه ورم أو لان رحمها ضعيف لا تقدر أن تدفع .

واما من اجل المولود ، فان يكون خروجه قبل الزمان الذي يجب ، أو يكون عظيما ، او صغيرا جدا ، أو كبير الرأس ، أو له خلقة مشوهة او لأنهم كثيرون .

او لأن شكله غير طبيعي والشكل الاجود أن يكون رأسه نحو فم الرحم ويداه مبسوطتان على فخذيه غير مائل الى جانب والذي يليه ان يكون

مرتجلا الا أنه يكون مائلا الى قبالة فم الرحم وتكون يداه غير معترضين فأما غير هذا فانه غير طبيعي •

واما من الاشياء الخارجة كالبرد المفرط والحر الشديد فيرخي القوة لرقتها فتنشق قبل الوقت الذي ينبغي ويسير الماء فيجف الرحم •

واما من الاشياء الخارجة كالبرد المفرط والحر الشديد فيرخي القوة ارخاء شديدا أو لعارض نفساني »[١٢] •

لا زال العلم الحديث يؤكد على صحة هذه الاسباب ولكن بمسميات حديثة مثل شذوذ طريق وحجم ووضع الجنين وشذوذ قوة الدفع والعوامل النفسية •

ويسرد الرازي في الحاوي الامور الواجب اتباعها لتسهيل الولادة من ذلك : استعمال الادوية المختلفة وعند عدم امكان الولادة نهائيا ينصح باستعمال السحب باليد والكلاليب وان تعسر اخراج الطفل سليما وحفظا على حياة الام ينصح بتقطيعه واخراجه • يقول : « التي يعسر ولادها لكبر الجنين تدخل القابلة يدها فتجذب قليلا فان لم يتفق ذلك فاربط من الجنين ما أمكن بحاشية ثوب لين ويسد فان لم يخرج علق بكلاب ويمد ، فان لم ينفذ قطّع عضوا عضوا على ما يمكن ويسهل ويخرج كما تواتي الخروج • والجنين الميت يبادر باخراجه قبل ان ينتفخ ويرم فان لم يمكن قطّع »[١٣] •

**ثانيا ـ الطفولة عند الرازي :**

ان دور الرازي الريادي في تثبيت دعائم علم طب الاطفال يعتبر من اجلّ اعماله التي خلّد ذكره في تاريخ الطب وان اهم اسهاماته في هذا الميدان هي :

آ ـ رسالة في أمراض الاطفال والعناية بهم :

يتفق اغلب مؤرخو تاريخ الطب ( من امثال راديل ، جوستاف لوبون ، سيغريد ، هونكة ••• الخ ) على أن الرازي كان أول من فصل بين طب الاطفال والامراض النسائية وجعله يأخذ شكلا مستقلا بذاته عندما ألف رسالته في طب الاطفال في حدود سنة ٩٠٠ م •

ان هذه الرسالة لا توجد منها على علمنا اية نسخة باللغة العربية الان ، ولا نعلم على وجه التحديد فيما اذا كان الرازي ألفها باللغة العربية أم بالفارسية كما يقول راديل[١٤] • وان كنا نميل الى كونها ألفت باللغة العربية لان المعروف عن الرازي لم يؤلف اي كتاب طبي بأية لغة غير العربية• ثم ترجمت هذه الرسالة قديما الى العبرية ، ثم ترجمت للاتينية قبل ظهور الطباعة في مدرسة جيراد كريسونا ( ١١٤/١٨٢ م ) من قبل سوموث •

ان اول كتاب طبع في طب الاطفال كان كتاب ( بيكالا رودس سنة ١٤٧٢ م ) الذي اعتمد اعتمادا كليا على رسالة الرازي هذه ، كما أنه من الحقائق المؤكدة بان جميع مؤلفي كتب الاطفال من القرن العاشر حتى السابع‌عشر ساووا بكتاباتهم على غرار النسخة اللاتينية من رسالة الرازي[١٥] •

طبعت هذه ارسالة باللاتينية سنة ١٤٨١ م لاول مرة ، ثم طبعت مرات عديدة وعلى الاغلب كانت تلحق بكتاب المنصوري للرازي أو فصول الطب لابن الهيثم •

وفي العصر الحديث ترجمت منها فقرات للالمانية من قبل بيبر Pieper وللانجليزية من قبل روهرا ومن قبل ستيل سنة ١٩٥ م ترجمت الرسالة بكاملها للايطالية •

وقام بترجمتها باكملها مؤخرا راديل Samuil Radbill للانجليزية ونشرها في مجلة أمراض الاطفال الامريكية ( عدد ٥ مجلد ١٢٢ لسنة ١٩٧١ م ) • وقد ذكر فيها بأنه ترجمها عن النسخة الايطالية والعائدة لـ Manza لسنة ١٤٩٧ م والتي هي بحوزته وان هذه الترجمة تعتبر أول واكمل ترجمة مطبوعة باللغة الانكليزية وهي الترجمة التي اعتمدنا عليها في ترجمتنا للرسالة الى العربية ( طبعت الترجمة العربية التي قمنا بها ضمن دوريات المؤتمر القطري للطفولة والذي انعقد في بغداد في الفترة ٩ ـ ١٣ /كانون الاول/١٩٧٩ ) •

أبواب الرسالة : وهي أربعة وعشرون بابا ، وتشمل مايلي .

| | | |
|---|---|---|
| الباب الاول | : | في السعفة في الاطفال . |
| الباب الثاني | : | في الجرب في الاطفال . |
| الباب الثالث | : | في كبر الرأس في الاطفال . |
| الباب الرابع | : | في انتفاخ البطن في الاطفال . |
| الباب الخامس | : | في العطاس في الاطفال . |
| الباب السادس | : | في السهر عند الاطفال . |
| الباب السابع | : | في الصرع عند الاطفال . |
| الباب الثامن | : | في المرض المسمى أم الصبيان . |
| الباب التاسع | : | في جريان الصديد من اذن الطفل . |
| الباب العاشر | : | في جريان السم من الاذن . |
| الباب الحادي عشر | : | في امراض العين في الاطفال . |
| الباب الثاني عشر | : | الحول . |
| الباب الثالث عشر | : | امراض الاسنان . |
| الباب الرابع عشر | : | تقرحات الفم في الاطفال . |
| الباب الخامس عشر | : | في التقيؤ في الاطفال . |
| الباب السادس عشر | : | في اسهال الاطفال . |
| الباب السابع عشر | : | في امساك الاطفال . |
| الباب الثامن عشر | : | في سعال الاطفال . |
| الباب التاسع عشر | : | في الحكة والنقاط في الاطفال . |
| الباب العشرون | : | في ديدان الاطفال . |
| الباب الحادي والعشرون | : | في بروز الصرة في الاطفال . |
| الباب الثاني والعشرون | : | في فتق الاطفال . |
| الباب الثالث والعشرون | : | في حصى المثانة في الاطفال . |
| الباب الرابع والعشرون | : | في شلل الاطفال . |

**القيمة العلمية للرسالة :**

الرسالة اضافة الى كونها اول مؤلف في طب الاطفال فانها تتضمن آراء ونظريات الرازي في طب الاطفال مكتوبة بطريقة جديدة مخالفة لمن سبقه من المؤلفين والاطباء اليونانيين وبعض الاطباء العرب ، فقد تناول أمراض الاطفال بصورة عامة وليس كما تناوله السابقون له بتقسيم أمراض الاطفال حسب اعمارهم او كما سموه ( اسنان الطفل ) • ونستخلص فيما يلي بعض الفقرات التي تبين القيمة العلمية لهذا السفر الثمين :

١ ـ ان الرازي أول من استعمل مرهم الرصاص في الامراض الجلدية ، الذي استمر استعماله حتى اليوم ، علما بانه قد يؤدي في بعض الاحيان الى التسمم بالرصاص •

٢ ـ تمييزه استسقاء الدماغ الداخلي Hydracephalus يحدث عن الارتشاح المصلي او الدموي عند التحدث عن كبر الرأس •

٣ ـ كما أنه يقول عن صغر الرأس Microcephalus بأنه اذا حدث من الولادة ليس له علاج • وهذا لا شك قول صحيح •

٤ ـ وفي قوله : « في اغلب الاحيان يحدث انتفاخ البطن لدى الاطفال الذين لديهم تضخم اكثر في الرأس » ربما يشير الى انتفاخ البطن الذي يصحب مرض الكساح •

٥ ـ وفي باب التحدث عن الصرع استطاع ان يفرق بين النوع الوراثي والعرضي •

٦ ـ يظهر أنه استطاع ان يفرق أيضا بين التهاب الاذن الداخلية والخارجية، كما واستعمل بعض الوصفات العلاجية لشفاء التهابات الاذن •

٧ ـ وللرازي ملاحظات وطرق جديدة في العلاج تدل على ثقة بالنفس حيث يذكر في موضوعات عدة بانه جرّب كذا او أخذ نتائج في تجربة العلاج الفلاني الامر الذي يؤكد أنه لم يكن مقلدا اعمى لمن سبقه بل استطاع ان يستقصي الحقيقة ويتحرى الجديد والمفيد لمرضاه •

٨ ــ تقسيم الرازي الحول في الاطفال على نوعين : نوع ولادي وآخر يحدث بعد الولادة ملاحظة صائبة .

٩ ــ ويتكلم عن اسباب التقيؤ في الاطفال ، ويعزي ذلك لاسباب ثلاثة :

أ ــ زيادة الحليب عمّا يستطيع هضمه .

ب ــ رداءة الحليب .

جـ ــ كون الطفل ذا معدة رطبة ضعيفة .

كما يؤكد على ضرورة فحص القيء من ناحية رائحته لمعرفة سببه .

١٠ــ واما أسباب الاسهال في الاطفال عنده فهي :

آ ــ ظهور الاسنان .

ب ــ أو من سبب البرد .

جـ ــ أو من سبب تعفن الحليب من الصفراء والبلغم .

وهنا أيضا كان مصيبا حين أكد على ضرورة فحص الخروج من ناحية اللون والرائحة لمعرفة سبب الاسهال واعطائه العلاج اللازم .

ان هذه الفقرة والتي قبلها ورأيه في أسباب فتق الصرة ربما يرى فيها القارىء المعاصر مجرد بديهيات ومسلمات ، وهي عندي خير شاهد على المنحى العقلي الذي ميز فكر الرازي اذ أن ما يثير الاعجاب فعلا هو هذا الربط المنطقي بين ظواهر هذه في تسلسل يربط السبب بالمسبب .

١١ــ ووضع الرازي ملاحظات مهمة حول استحمام الطفل وحذر من استعمال الدهان التي تجمع الاوساخ والغائط .

١٢ــ وكان حذرا من استعمال علاج الديدان عن طريق الفم في الاطفال وكان ميالا الى استعمال المعاجين من الخارج .

١٣ــ تقسيمه لانواع السعال ووصف العلاجات المختلفة لكل نوع تقسيم جيد .

١٤ــ برز السرة ( فتق السرة ) عنده :

آ ــ اما يحدث عند بكائهم كثيرا .

ب ــ او عند العصر .

ج ــ او من السعال الشديد •

د ــ او صدفـة •

هـ ــ ربما يحدث مع حادثة بضربه عمدا •

١٥ــ ان الحماس الشديد الذي كان سائدا حول الفصـد في الكبار كان الرازي ضده في الصغار حتى سن البلوغ •

١٦ــ في الباب الاخير يتحدث عن شلل الاطفال ، كما انه ادخل الشلل الوراثي واصابات الولادة في هذا الباب عندما لمح لهؤلاء المصابين منذ الولادة وعند ذكر العلاج الطبيعي يوضع الطفل في حمام ودهن مفاصله ببعض الدهـان والمعاجين يوميا •

ب ــ كتاب في الجدري والحصبة :

لقد نال هذا التاب شهرة عظيمة في آوربا فترجم للاتينية وغيرها من اللغات عدة مرات الامر الذي جعل سيغريد هونكة تقول « فكان هـذا الكتاب بحق آية من نوعه نشـر في اوربا اربعين مـرة ما بين ١٤٩٨ ــ ١٨٦٦ م »(١٦) •

**فصـول الكتـاب :**

يحتوي الكتاب على مقدمة قصيرة تكلم فيها الرازي عن سبب تأليفه هذا الكتاب من حيث أنه لم يجد لمن سبقه من الاطباء كتابا كافيا في هذا الموضوع ، ثم ذكر ما يحتويه الكتاب بايجاز •

الفصل الاول: في سبب الجدري ولم صار لا يكاد يفلت الا الواحد من الناس ومقدار ما ذكر جالينوس في الجدري •

الفصل الثاني : انتقل الرازي في هذا الفصل الى ذكر الابدان المستعدة للجدري والاوقات التي يكثر فيها •

الفصل الثالث : وهذا الفصل يعتبر أهم فصل في الكتاب حيث ان الرازي اعطى الدليل القطعي فيها بان الحصبة والجدري ليسا مرضا واحدا ، ووصف اعراض كل مرض على حدة •

الفصل الرابع :

الفصل الخامس : تحدث الرازي هنا عن الاحتراس من الجدري قبل ظهوره ومنعه من أن يكثر بعد ظهوره .

الفصل السادس : فيما يسرع بايجاز ابراز الجدري والحصبة .

الفصل السابع والثامن : خصص الرازي هذين الفصلين في العناية بالعين والحلق ثم الاذن والانف والمفاصل في حالة ظهور علامات الجدري وما يساعد على نضج الجدري .

الفصل التاسع والعاشر : يتكلم في هذين الفصلين فيما يخفف الجدري وفيما يقلع القشور الجافة وفيما يذهب آثار الجدري من العين وسائر الجسد.

الفصل الحادي عشر :

الفصل الثاني عشر والثالث عشر : في تدبير غذاء المجدور وفي تدبير طبيعة المجدور .

الفصل الرابع عشر : في هذا الفصل الاخير يتكلم الرازي على انواع الجدري والحصبة ويسميها السليم والمهلك من الجدري والحصبة ويناقش الفرق بين السليم والمهلك .

**القيمة العلمية للكتاب :**

١ ـ ان كتاب الرازي في الجدري والحصبة هو الاول من نوعه حيث صور هذين المرضين تصويرا علميا صحيحا وعلى شكل كتاب مستقل. يقول الرازي في مقدمته : « فاحب هذا الرجل .. ان أعمل مقالة في هذا المرض متقنة اذ لم يجد لاحد من القدماء والمحدثين الى هذه الغاية قولا مستقصيا ولا كافيا فعملت هذه المقالة رجاء الثواب »(١٧). وجاء في مقدمة الكلية السورية لطبعة الكتاب « ان الشيخ الرازي هو اول من ألف كتابا في الجدري والحصبة » .

٢ ـ ان الرازي في هذا الكتاب ولاول مرة في تاريخ الطب فرّق بين مرضي الجدري والحصبة، ووصف كلا منهما على حدة بصورة تفصيلية خلافا لمن

سبقه من الاطباء اليونان والعرب اذ أنهم كانوا يعتبرون المرضين واحدا كما يعترف بذلك الغالبية من المؤرخين من أمثال جوستاف لوبون ، ودوكلاس جوثري ، هونكـة .. وغيرهـم . والرازي فرّق بين المرضين في ثلاثة مواضع في كتابه :

آ ـ في الفصل الثاني حين ذكر أوقات انتشار المرضين كلا على انفراد اذ يقول : « وأما الاوقات التي يعتاد فيها الجدري ويكثر فأنا ذاكرها ان شاء الله تعالى ، فأواخر الخريف وابتداء الربيع واذا كان في الصيف أمطار متواترة وهبت جنائب ( رياح جنوبية ) كثيرة متتابعة ، واذا كان الريح دفينا جنوبيا » . وعن اوقات انتشار الحصبة يقول : « واما اذا كان الصيف قوي الحرارة واليبس وكان الخريف يابسا وابطأ المطر جدا فان الحصبة تسرع الى المستعدين نها »[١٨] .

ب ـ في الفصل الثالث يعطي الرازي الدليل القاطع بأن الحصبة والجدري ليسا مرضا واحدا فبعد أن تكلم على اعراض المرضين المشتركة يقول : « غير ان القلق والغشي والكرب في الحصبة اكثر منه في الجدري ، ووجع الظهر امضى هذه بالجدري » وفي محل آخر يقول : « غير انه لا تكون في الحصبة من وجع الظهر ما يكون مع الجدري ولا في الجدري من الكرب والغشي ما يكون مع الحصبة »[١٩] .

جـ ـ وفي الفصل الرابع عشر يمضي الرازي في وصف الطفح للنوع السليم والمهلك لكلا المرضين الجدري والحصبة كلا على حدة في اسلوب علمي يعدّ قمة المعرفة بالنسبة لزمانه .

وللرازي في كتاب الحاوي وصف رائع لمرضى الحصبة يؤكد قوله في رسالته عن الجدري والحصبة ، يقول في الحاوي : « على ما رأيت في التجربة علامات الجدري والحصبة حمى لازمة وتفزع في النوم

وحكـة في الانف ووجع بشدة التثاؤب والتمطي الدائم واشتمال اللـون »[٢٠] .

اما العلامات الخاصة بالحصبة فهي عنده : « أن يغلظ الصـوت وتحمر العينان والوجنتان ، ووجود وجع في الحنجرة ، والصدر ، ويجف اللسان وتنتفخ الاصداغ ، ويحمر الجسد ، وتدمع العينان ، ويهيج التهوع ، فان رأيت هذه فستظهر الحصبة » . وللتفريق بين الجدري والحصبة يقول : وان الحصبة انما تكون حمرة سطح الجلد وليس لها عمق البتة أعني تنتوء له علوا ، والجدري يكون كما سيبدو مستديرا وله نتـوء .. ومتى اشتبه عليك فلا تحكم الا بعد هذه الحالة بيوم او يومين فان لم يظهر نتوء فليس يجب أن تحكم بانه جدري» .

٣ ـ يعتبر الرازي أول من بين نوع الطفح في مرض الحصبة وشدة المرض عندما قال : « واسلم الحصبة التي ليست شديدة الحمرة واما الكمدة فردية واما الاخضر والبنفسجي منها فمهلكان » .

ان ما ذكره عن الاخضر والبنفسجي قد يدعو الى الاستغراب لاول وهلة الا أننا نعتقد بأنه ربما قصد بذلك الاحتقان الشـديد الذي يصحب الطفح في الجلد عندما تكون الاصابة شديدة والذي تبقى آثاره بعد الشفاء احيانا بالوان مميزة قريبة من الاخضر والبنفسجي .

٤ ـ من ملاحظاته المهمة في الفصل الاول ان الهواء العفن يسـاعد على انتشـار المرض .

٥ ـ وله رأي جليل خالف به من قبله من الاطباء وهو استعمال الماء البارد لتخفيف الحرارة الشديدة والتي قد تؤدي زيادتها بحياة المصاب فيقول: « ويسقون الماء المبرد بالثلج وماء العيون الصادقة البرد »[٢١] . وفي موضع آخر يقول « ومن أقوى ما يطفىء به عنه أن نسقيه من الماء المبرد بالثلج غاية التبريد » « وليغتسلوا بالماء في انصاف النهار »[٢٢].

٦ ـ تمتاز آراء الرازي في هذه الرسالة في كونها بريئة من المعتقدات السابقة والخاطئة وبعيدة عن النظريات المعقدة ، كما وينم هذا المؤلف عن

حرص الرازي على الدقة في وصف العلاج بما فيه الطعام الملائم وعن اعتقاده ان للطعام اثرا كبيرا في الاسقام والابراء .

٧ ـ الكتاب يعطينا دليلا قاطعا على أن الرازي كغيره من الاطباء العرب لم يكن علمه ومؤلفاته ( مقتصرة ) على النقل ممن قبله بل انه مبدع مجدد بجانب كونه ناقلا أمينا فقد استطاع في كتابه هذا ان يتحرر من افكار السابقين في الخلط بين مرض الحصبة والجدري ولم يكتف بمجاهرته بانهما ليسا مرضا واحـدا فحسب بل تمكن بجرأة العالم العارف والطبيب الحاذق ان يعلن آراءه الجديدة والمبنية على البحث والتجربة في اسلوب العلاج فجاءت افكاره صائبة وتقديراته صحيحة من الناحيتين العلمية والطبية كما ذكرنا .

### ج ـ الحـاوي :

لقد ورد في الحاوي فقرات وملاحظات لها علاقة بالطفل وامراضه . نذكر منها على سبيل المثال :

١ ـ الصـرع :

يحدد الرازي مرض الصرع بشكل واضح حيث يقول : « الصـرع تشنج يعرض في جميع البدن الا انه ليس بدائم لان علته تنقضي سريعا وما ينال من الاعضاء التي في الرأس على جميع الجسد من المضرة يدل على ان العلة انما هي في الدماغ ، ولانها تنقضي سريعا ينبغي ان يعلم ان الخلط الفاعل له خلط غليظ يسد منافذ الروح فان فعله في بطون الدماغ خاصة . وان مبدأ العصب فاصلة هو الذي يحرك نفسه حركة ارتعاشية ، ويرتعد بشدة كيما يدفع عنه ذلك الشيء الذي قد بلغ في الابدان »[٢٣] .

وبعد ان يفرق بشكل دقيق بين الصرع لناتج عن آفة محددة في الدماغ والذي تطول مدته عادة ، وبين الصرع الذي ينقضي بسرعة والذي ينتج برأيه عن خلط غايظ ، ينتقل الى الحديث عن اصناف الصرع حيث يشير بوضوح الى الصـرع الجاكسوني والذي يعزي فيه الرجفان الى مادة او

ما كانت تدعى بروح باردة تصعد الى الدماغ من اعضاء البدن . يقول : « لي ــ الصرع ثلاثة اصناف اما ان يكون الخلط الفاعل له مستكنا في الدماغ واما ان يكون بمشاركة المعدة واما ان يكون صعوده من عضو ما من اعضاء البدن »(٢٤) .

وذكر الرازي ايضا المرحلة التي تسبق النوبة الصرعية والتي تسمى اليوم بالنسمة او Aura والتي من اوصافها انها تترافق بشعور خفي لا يستطيع المريض تمييزه في اكثر الاحوال ومن المعروف ان هذه المقدمات قد تبدأ في اليد او القدم وان شد العضو فوق هذا المكان قد يوقف العلة . يقول : « قد يحس بعض المصروعين شيئا كالروح البارد يصعد من بعض اعضائه اما من اليد واما من الرجل واما من عضو آخر حتى يبلغ الرأس ، ثم يخرون والشد فوق العضو الذي منه يصعد نافع لذلك »(٢٥) .

ثم بعد ذلك يبين الرازي الانذار لهذا المرض حيث يقول : « من اصابه الصرع قبل انبات الشعر في العانة ، فانه يحدث له انتقال وقت انباته ، فمن أصابه وقد اتى عليه من السن خمس وعشرون سنة فانه يموت وهو به « أي ان الصرع في الصبيان من الممكن ان يشفى عند البلوغ »(٢٦) .

**٢ ــ شلل الاطفال :**

يطلق الرازي الاسترخاء على عدم قدرة العضلات لأداء اعمالها نتيجة اصابة الاعصاب المحركة لها بخلل كالشلل الدائمي او المؤقت فيقول : « اذا وقع الاسترخاء بعقب مرض فاقصد اسخان تلك المواضع التي هي منابت تلك الاعصاب فان فيها أخلاطا باردة »(٢٧) .

وفي محل آخر يقول : « فاذا كان العضو عصب حسي وعصب حركي فربما حدثت الآفة باحدهما »(٢٨) .

وفي قسم آخر من الكتاب نفسه يتكلم عن العلاج الطبيعي كالتدليك والتمارين العلاجية والحمامات المائية كلاما صائبا حيث أن ذلك معمول به الان في علاج شلل الاطفال كما هو معلوم . يقول : « قوة العضو تقوي

بالدلك المعتدل في الكمية والكيفية والحركة الموافقة والدم ينجذب اليه ويصب الماء الحار عليه بقدر معتدل وبتحريكه ودلكه فان الدلك والتحريك مع تقويتها القوة يجذبان الدم » .

٣ ـ الكـــزاز :

يذكر الرازي حالة طفل اصيب بمرض الكزاز نتيجة لجـرح نتيجة نخسه ويعزى ذلك الى ضيق فتحة الجرح وحدوث التقيح في عمقه ، وينصح بضرورة توسيع فم الجرح وهو ما يؤكد الاطباء اليوم في هذه الحالات .

يقول : « كان صبي اصابه نخس في الجانب الايسر من عضده في العضل ، فوضع عليه الطبيب دواء امتحنه في جراحات اخرى فتشنج الغلام ومات ، لان جراحته لم تكن واسعة لكن كانت نخسة . ويجب ان تعنى بالنخسة الضيقة ان يكون الجرح ابدا مفتوحا ليكون الصديد يسيل بعضه ويحلل البعض »[٢٩] .

٤ ـ الجراحـة التجميلية :

يعد الرازي من اوائل الذين اشاروا الى الجراحة التجميلية كفرع من فروع الجراحة ، فقد تكلم عن كيفية تعديل التشوه في الشفة حيث قال : « قشر الوسط واكز الجلد في الجانبين واقطع اللحم الذي في الوسط الذي تحته كشيطا ما قد صلب منه وارم به ثم خط الجلد من غير ان يكون يتخلص منه شيء ويلحمه فيكون العضو يرجع الى طوله لذهاب ذلك المقلص من وسط الجلد »[٣٠] .

٥ ـ الرتقـــة : Atrasid

يبدع الرازي ايضا في الكلام عن الرتقة ( النوع الخلقي والذي يحدث فيما بعد ) وعلاجها فيقول : « واما ان تكون في الخلقة او علاج قرحة ، فافتح قبل المرأة فانك تجـد فم القبل قد غطاه شيء شبيه بالعضلة ، هذا اذا كان اللحم في القبل واما اذا كان في فم الرحم فانه لا يخاف عليه حتى

تبلغ الجارية الحيض فانه يحتبس فلا ينزل فتلقى من ذلك اذى شديد او تهلك عاجلا حتى لم تعالج[٣١] .

### ٦ ـ العرق المدني :

يقول الرازي عن تواجده : « قد يكون في البلدان الحارة وبشرب المياه الرديئة »[٣٢] .

ويذكر ايضا : « بولس ـ قال : يتولد بالهند ومصر ويعرض في الاعضاء العضلية مثل المعصمين والساقين والفخذين ، واما في الصبيان فقد يعرض في الجنين ، وكونها تحت الجلد وتتحرك حركة بينة حتى اذا ازمنت ينتفخ الموضع الذي يكون فيه طرف هذا العرق وينتفخ الجلد ويخرج منه طرف العرق فان مد عرضت منه اوجاع شديدة وخاصة ان انقطع »[٣٣] .

ثم يذكر مثالا لطريقته في علاج مريض انقطع فيه العرق : يقـول : « لي ـ رأيت في المارستان شيئا انقطع فبططناه ولم نلتفت الى طلب العرق لكن فتقنا الجرح بالاصبع فتقا نعما فعالجناه فبرأ براء تاما »[٣٤] .

### ٧ ـ روماتيـزم المفاصـل :

يقول : « قد رأيت خصيانا اصابهم النقرس ، واما صبيانا فما رأيت احدا أصابه ، وان كان يصيبهم فانما يصيبهم انتفاخ في مفاصلهم »[٣٥] .

على الرغم من عدمن تسمية الروماتيزم الا اننا نجد في القول السابق اشارة له وكونه مرض يصيب الاطفال اكثر من غيرهم .

### ٨ ـ درن الفقـرات

يؤكد الرازي بان درن الفقرات متى كان في الصبيان فانه يقتل . كما ويقرر بان الحدبة التي ليس لها سبب ظاهر تكون من خراج داخلي بارد وهو ما نسميه (Cold Abces) وهذا لا يبرأ والطب الحديث يؤيده فيما ذهب اليه سوى مسألة امكانية شفاء المريض المصاب بتدرن الفقرات بالعلاجات والمداخلات الجراحية . يقول الرازي :

« من اصابته حدبة من ربو أو سعال قبل نبات العانة فانه يهلك ، لان كل من تصيبه حدبة بلا ضربة ولا سقطة ولا سبب ظاهر انما يكون ذلك لخراج داخل يجذب خرز الصلب ، وهذا المزاج متى كان من خلط غليظ غاية الغلظ لا ينضج البتة ، فانه يقتل على هذه الجهة . فانه اذا حدث في هذا الوقت منع الصدر لان يتسع ويبلغ مقدار ما يحتاج اليه الرئة والقلب في التنشق فيقتل صاحبه ، ـ لي ـ لصغر السن »[٣٦] .

وفي موضع آخر يقول : « لي ـ الحدب كله انما هو ان يتقطع بعض الخرز ويبقى في الوسط منها شيء غير متقطع ، ومتى ما كان ما بقي غير متقطع اكثر ما كانت اكثر فلذلك الحدب رديء يضيق الصدر ، لان الخرز تنجذب الى داخل فيضيق الفضاء »[٣٧] .

**د ـ المنصوري : المقالة الرابعة في تعبير الاطفال :**

يتكلم فيه الرازي عن كيفية العناية بالوليد ثم كيفية الرضاعة والفطام وعن اختيار المرضعة وتدبيرها ، ثم يتكلم عن تدبير الاسنان وفيه يتكلم عن معالجة الصبيان وتدبيرهم . وفي مكان آخر شرح الوقاية من كبر الخصية في الاولاد والثدي في البنات .

وفي سرده للحالات المرضية ادخل الرازي بعض حالات الاطفال فمثلا : « طفل لديه التهاب الفم مع إفرازات صفراء ، حمى ، طفح ، تبول دموي ، نزف في الشرج وتوفي » عزى ذلك الرازي للعلاجات التي اجتمعت في الجلد من الضمادات .

هـ ـ كتاب مختصر في اللبن ذكره ابن أبي اصيبعة[٣٩] في ترجمته للرازي الا اننا لا نعلم ان كان موجودا أم لا حيث لم يتيسر لنا العثور على ذكر له في أي من الفهارس او المكتبات .

## الهـــوامش


١ ـ الرازي ، ابو بكر محمد بن زكريا : الحاوي في الطب ـ الطبعة الاولى مطبعة دائرة المعارف العثمانية ـ بحيدرآباد ـ الهند ج٩ ص٧٥ .

٢ ـ المصـــدر نفســـه ص ٧٩ .

٣ ـ المصـــدر نفســـه ص ٧٩ ـ ٨٠ .

٤ ـ المصـــدر نفســـه ص ٨٣ .

٥ ـ المصـــدر نفسه ص ٩٧ .

٦ ـ المصـــدر نفســـه ص ١١٨ .

٧ ـ اصـــدر نفسه ص ١٢٥ .

٨ ـ المصـــدر نفســـه ص ٧٥ .

٩ ـ المصـــدر نفســـه ص ٧٩ .

١٠ـ المصـــدر نفســـه ص ٧٨ .

١١ـ المصـــدر نفســـه ص ٩٨ .

١٢ـ المصـــدر نفســـه ص ١٣١ .

١٣ـ المصـــدر نفسه ص ٩٨ ـ ٩٩ .

١٤ـ راديل ـ صموئيل اكس ـ مقال باللغة الانكليزية ـ اول مخطوطة في طب الاطفال ـ مجلة طب الاطفال الامريكيـــة ـ المجلد ١٢٢ ، تشرين الثـــاني ١٩٧١ .

١٥ـ المصـــدر نفســـه .

١٦ـ هونكة ـ سيفريد ـ شمس العرب تسطع على الغرب ص ٢٥ .

١٧ـ الرازي ، ابو بكر محمد بن زكريا ـ كتاب في الجدري والحصبة ص٦ .

١٨ـ المصـــدر نفســـه ص ١٨ .

١٩ـ المصـــدر نفســـه .

٢٠ـ الرازي ـ الحاوي ج١٧ ص٦ .

٢١ـ الرازي ـ كتاب في الجدري والحصبة ص ٢٣ .

٢٢ـ الرازي ـ كتاب في الجدري والحصبة ص ٢٤ .

٢٣ـ الرازي ـ الحاوي ج١ ص ١١٧ .

٢٤ـ المصـــدر نفسه ص ١١٨ .

٢٥ـ المصـــدر نفسه ص ١١٨ .

٢٦ـ الحاج قاسم ـ الدكتور محمود ـ تاريخ طب الاطفال عند العرب ـ الطبعة الثانية ـ تهامة للنشر ـ جدة ١٩٨٣ ص ٧٤ .

٢٧- الرازي - الحاوي ج١ ص ٧ .
٢٨- المصــدر نفسـه ص ١٨ .
٢٩- المصــدر نفسـه ج١٢ ص ١٦٤ .
٣٠- المصدر نفسه ج٦ ص ٢١٨ .
٣١- المصدر نفسه ج٩ ص ٢١ .
٣٢- المصدر نفسه ج١١ ص ٢٩٢ .
٣٣- المصــدر نفسه ج١١ ص ٣٩١ .
٣٤- المصدر نفسه ج١١ ص ٢٩٢ .
٣٥- المصــدر نفسه ج١١ ص ١١٠ .
٣٦- المصــدر نفسـه ص ٨٨ .
٣٧- المصــدر نفسه ج١١ ص ٩٢ .
٣٨- الرازي - ابو بكر محمــد بن زكريا - المنصوري - مخطوطة مكتبــة الاسكوريال - اسبانيا .
٣٩- ابن ابي اصيبعة - عيون الانباء في طبقات الاطباء ج١ ص ١٣٢١ .

# مفصليات الارجل الطبيـة والمنزلية

# في كتـاب « الحـاوي » للرازي

الدكتـور عمـاد محمـد الحفيظ

المقدمـــة :

ولد ابو بكر محمد بن زكريا الرازي[١] في مدينة الري[٢] ، ثم سافر الى بغـداد حيث برع واشتهر في الطب هنـاك فاطلقـوا عليه جالينوس العـرب[٣] .

لقد جمع في الحاوي كل ما عثر عليه الرازي في الطب من الكتب التي كانت في متناول يديه ، ونسب كل قول لقائله ، وان لم ينسبه يقول لي . ولذلك نجـد ان هذا الكتاب قد اعتمد في الجامعات الاوربية خلال القرون الوسطى بعـد ان ترجم الى اللاتينية[٤] . فلقد كان للرازي العديد من الابتكارات والابداعات في الطب معتمدا في ذلك على بحوثه وخبرته الشخصية فجاء كتابه هـذا شاملا ودقيقا ، فاعطى الدلالات وفصـل الاعراض بين الأمراض لما له من قدرة في التشخيص والتعرف على المرض . كما أفـرد ابوابا للحالات المرضية المختلفة ، بل وافرد ابوابا للافات الحيوانية التي يتعرض لها الانسان ، ومنها مفصليات الارجل ، وكذلك اسلوب مكافحتها والمواد المستخدمة لتقليل افرادها أو قتلها .

وعلى الرغم من ذلك لم ينل كتاب الحاوي البحث الكافي والدراسة العلمية المتمحصة واللازمة لاظهار أهميته وفائدته .

لقد اخترت من كتاب الحاوي ما يتعلق بمفصليات الارجل الطبية والمنزلية لأدرسها شرحا وتعليقا ولاهميتها في الوقت الحاضر ولانها لم تدرس من قبل وكذلك لقربها من موضوع اختصاصي .

رتبت مجاميعها حسب تصنيفها وبترتيب أبجدي وبعد كل اسم مباشرة وضعت كلام الرازي عليها وعن اهميتها الطبية وبعد كلامه مباشرة ادرجت ما تيسر لي من معلومات وتعليقات حول نوع الآفة واسمها العلمي وعاداتها ووجودها ومدى مطابقتها للمعلومات التي ذكرها الرازي ، واشـرت في الهوامش الى مصادر معلوماتي وعند عدم الاشارة فالمعلومات لي .

## مفصـليات الارجـل

تضم انواع مفصليات الأرجل اكبر شعبة حيوانية بلا استثناء حيث يبلغ عدد انواعها حوالي المليون نوعا ، ومن اهم ما تمتاز به هذه الشعبة هـو ان جسم الحيوان مقسم الى مناطق او حلقات . وفي بعضها لكل حلقة لها زوج من الاطراف المفصلية أو تكون الاطراف في حلقات المنطقة المدربة ولأجسام انواع هذه الشعبة هيكل صلب يحتـوي على مادة كايتينية . وتكون الافراد الجنسية عادة منفصلة أي ذكر وانثى .

يتبع هذه الشعبة مجموعة من الصفوف ، ذكر منها الرازي ثلاثة صفوف فقط مهمة من الناحية الطبية وكما يأتي :

١ ــ صف الحشرات . Insecta

٢ ــ صف عديدة الارجل . Myriapoda

٣ ــ صف العنكبوتيات . Arachnida

وفيما يلي سنتعرف على كل من هذه الصفوف من حيث صفاتها وأهم ما تمتاز به ، واهميتها الطبية واهم مجاميعها التي ذكرها الرازي . هذا مع العلم انه قد جاء في كتاب الحاوي عن مفصليات الارجل الطبية والمنزلية عند كلامه عن الهوام .

### ١ ــ صنف الحشـرات :

تميزت افراد هذا الصنف بأن اجسامها مقسمة على ثلاثة مناطق ، هي الرأس والصدر والبطن ، يحمل الرأس زوجا واحدا من قرون الاستشعار وزوجا من العيون المركبة . أما الصدر فيحمل دائما ثلاثة ازواج من الارجل من البالغات وزوجا أو زوجين من الاجنحة ، او يكون عـديم الاجنحة ، وتكون البطن خالية من الاطراف والأجنحة .

يبلغ عدد الانواع في هذا الصف حوالي ٩٠٠ الف نوع(٥) ، وتختلف هذه الانواع فيما بينها اختلافا متباينا من حيث الشكل والسلوك والمعيشة وتركيب جسمها وعدد وشكل الاجنحة واجزاء الفم واشكال قرون الاستشعار .

لقد ورد في كتاب الحاوي اسماء حشرات طبية ومنزلية تعود لرتب مختلفة هي :

| المجاميع الحشرية | الفصيلة | الرتبة | الاسم العلمي للرتبة |
|---|---|---|---|
| ارضة[6] | يتبع لها عدة فصائل | متساثلة الاجنحة | Siphonaptera |
| برغوث[7] | يتبع لها عدة فصائل | البواغيث | Isoptera |
| بعوض[8] | البعوض | ذات الجناحين | Diptera |
| بق[9] | البق | نصفية الاجنحة | Hemiptra |
| جراد[10] | يتبع لها عدة فصائل | مستقيمة الاجنحة | Orthoptera |
| جرجس[11] | الحرمس | ذات الجناحين | Diptera |
| خنافس[12] | يتبع لها ١٢٠ فصيلة | عديمة الاجنحة | Coleoptera |
| ذباب[13] | يتبع لها عدة فصائل | ذات الجناحين | Diptera |
| ذراريح[14] | الخنافس المحرقة | عديمة الاجنحة | Coleoptera |
| زنبور[15] | الزنابير | غشائية الاجنحة | Hymenoptera |
| سوس[16] | السوس | عديمة الاجنحة | Copeoptera |
| نحل[17] | النحل | غشائية الاجنحة | Hymenoptera |
| نمل[18] | النمل | غشائية الاجنحة | Hymenoptera |

أي ان عدد مجاميع الحشرات التي ذكرها الرازي بلغت ١٣ مجموعة حشرية تعود الى سبع رتب • الا انه لم يتحدث عن مخاطر واضرار هذه الحشرات بل ذكر وسائل مكافحتها والمواد المستخدمة لذلك فقط ، بينما نلاحظ ان الجاحظ[19] والقزويني[20] مثلا قد اوردا وصفا لهذه المجاميع وما هي طبيعة الضرر والامراض التي قد تنجم عن ذلك • كما ان الرازي لم يعزي نقل الامراض بواسطة الحشرات على الرغم من تعرفه على بعض الامراض التي تنقل بواسطة هذه الحيوانات ، الا وهو مرض داء الفيل مثلا والذي اعتقد انه مرض سرطاني فقال[21] : داء الفيل لا يبرأ لأنه سرطاني من مادته ولا ينتفع الا بقطعه[22] ان امكن من الاصل •

علما ان داء الفيل مرض دودة الفلاريا ينقلها احد انواع البعوض هو Culex fotiganus (23) كما ان البعوض ينقل امراضا اخرى كالملاريا والحمى الصفراء والتي تسبب الموت للمصابين بها ، وكذلك بالنسبة للبراغيث التي تنقل اخطر مرض تعرضت له البشرية قديما والذي يعرف بالموت الاسود او الطاعون .

وانواع الذباب ايضا تنقل مرض السل والتيفوئيد وغيرها من الامراض الخطرة .

اما عن الانواع الاخرى من الحشرات التي ذكرها الرازي في كتابه وهي الزنبور والنحل والذراريج والخنافس والارضة والنمل والجـراد والسوس فهي حشرات منزلية ليست لها اهمية طبية تستحق الذكر وعلى الرغم من ذلك أوصى الرازي بمكافحتها ولعل ذلك يعود الى ما تسببه من ازعاج او اضرار لممتلكات الانسان .

**٢ ـ صنف عديدة الارجل : Myriapoda**

ان اهم ما تمتاز به انواع هذا الصنف ان لها رأسا واضحا فيه زوج من قرون الاستشعار ، والجسم مقسم الى حلقات تحمل كل منها ارجل مفصلية . يكون الجسم مسطح والحلقة الجسمية الاولى لها زوج مـن الفكوك السمية .

ولقد ذكر الرازي نوعا واحدا هـو ذو الاربع والاربعين[٢٤] ، وان هذا النوع يعود لرتبة مفردات الارجل ( ذوات المئة رجل ) وتمتاز افراد هذه الرتبة بأن كل حلقة من حلقات الجسم تحمل زوجا واحدا من الارجل، وتوجد زائدتان في الحلقة الاولى متحورة الى فكوك تشبه المخالب وتفتح عليها غدة سامة .

اما عن عدد ازواج الارجل فتختلف من نوع لآخر حيث يتراوح عددها من ١٥ الى ما يزيد على ١٥٠ زوجا من الارجل ، وان تسميتها لا تعود لان في افرادها ١٠٠ زوج من الارجل أو ٤٤ زوجا ، وانما لان كل حلقة من

البطن ويقذف بالمني ويبول بولا كثيرا • والشبث يعرض منه وجع المعدة وقيء وعسر البول والرجيع ويقتل سريعا والمصرية قاتلة •

الرتيلاء حيوانات من العنكبوتيات تتبع رتبة تعرف بالرتيلات والتي تضم ما يزيد على ٥٠٠ نوع ، وتتميز افراد هذه الرتبة بوجود ملامس طويلة تشبه الارجل وبافتقارها الى الغدد السميّة والغدد الغازلة بالاضافة الى ان اجسامها يغطيها زغب يختلف في الطول من نوع لآخر ، لذلك الرتيلاء حيوان ليس بالخطر او السام •

اما عن قول الرازي في الاعراض التي تطرأ على الشخص المعضوض فهذا ليس بصحيح وان كانت بعض الانواع عضتها مؤلمة ، الا انها ليست بالسامة ولكن قد يتلوث الجرح الناتج من العض فيؤدي الى التهابات او الاصابة ببعض الامراض ، وهـذا ما يتفق مع ما ذهب اليه الرازي حيث قال[٢٦] : والزيبرية يرم موضع لدغتها ويعرض كزاز في البدن وسبات وضعف في الركبتين •

## ٢ ـ العقـرب والجـرارة :

قال عن العقرب[٢٧] : لدغت رجلا عقرب فكان يقول انه يحس كأنه يضرب بحجارة من جليد وبرد بدنه كله ، وكان يعرق عرقا باردا • وعن الجرارة : فأما الجرارة فان سمها حديد حار ، ولا يحس في اول لسعها بوجع لكن بعد يوم او يومين يغشى عليه ويتغير لونه ويرم اللسان ، وربما الدم ، وربما تقرح مكانه قروحا متكاثفة •

ان العقرب والجرارة حيوانات من رتبة العقارب ، لها ملمسان كلابيان كبيران ، وان اهم ما تتميز به هذه الانواع بان للبطـن جزئين ، الامامي عريض يتكون من ٦ حلقات والخلفي يتكون من ٦ حلقات ايضا ، الا انها تشبه حبّات المسبحة وتنتهي بابرة السم[٢٨] • وان اخطر الانواع هو الجرار Hemiscorpius lepturus الذي ينتشر في المناطق الشرقية من العراق كقضائي مندلي وخانقين[٢٩] ، التابعان لمحافظـة ديالى • وليس للعقارب

حلقات الجسم تحمل زوجا واحدا من الارجل ، أي ان تسميتها الصحيحة يجب ان تكون ( مفردات الارجل ) هذا مع العلم ان عامة الناس ما زالوا يسمون هذا الحيوان ( ابو اربع واربعين ) .

**٢ ـ صنف العنكبوتيات : Arachnida**

العنكبوتات حيوانات من شعبة مفصلية الارجل ، الرأس فيها لا يحمل قرون استشعار ، ولا عيون مركبة ، بل عادة ثماني عيون بسيطة . اما الجسم فغير مقسم الى ثلاثة اقسام كما في صف الحشرات ، وانما الرأس ملتحم بالصدر فتسمى منطقة الرأس ـ صدر ، وتحتوي على اربعة ازواج من الارجل المفصلية .

اما البطن فيمكن تمييزها عن المنطقة الاولى وتكون خالية من الارجل ويبلغ مجموع الانواع التي تتبع هذا الصف ما يزيد على الخمسين الف نوع .

لقد جاء في كتاب الحاوي العديد من اسماء العنكبوتيات الطبية والمنزلية والتي يمكن تقسيمها على مايلي :

١ ـ الرتيلاء .
٢ ـ العقرب والجرارة .
٣ ـ عنكبوت .
٤ ـ القردان .

**١ ـ الرتيلاء :**

قال الرازي[٢٥] عن انواع هذه الحيوانات : فالحمراء يعرض من عضتها وجع يسير سريعا ، والسوداء والرقطاء يعرض منها وجع وحكاك ومغص واختلاف . والكوكبية التي على ظهرها خطوط براقة مستوية يعرض منها وجع شديد وقشعريرة وثقل رأس واسترخاء بدن . والصفراء التي عليها شبه الزغب يعرض منها برد الجسد كله ووجع شديد في موضع اللسعة ورعشة وقشعريرة وعرق بارد وانقطاع الصوت وينتفخ

والجرارة اهمية طبية في نقل او احداث المرض . الا ان الجرارة قد تهلك الصبي من فعل لسعتها ، وهي تعرف عند العامة باسم الجارور .

### ٣ ـ القـــردان :

ذكر الرازي[٣٠] اسلوب مكافحة القردان دون ان يتحدث عن اهميتها الطبية ومخاطرها ، والقردان حيوانات تعــود لرتبة Parasitiformes من تحت صف القراديات ، لها اهمية طبية لنقلها امراض خطيرة كمرض ذات السحايا الرشحية ومرض الحمّى الدملية وغيرها ، بالاضافة الى نقلها للعديد من الحيوانات الاولية المسببة للامراض كما انها تؤثر على عائلها فتؤدي الى حدوث حكة وحساسية مع فقدان كمية كبيرة من دم الحيوان المصاب .

### ٤ ـ العنكبــوت :

اما لدغة العنكبوت فانها تهيج تارة وتسكن اخرى ، ويعرض معه برد الاطراف وانتشار القضيب ورياح في البطن ويقوم شعر الجسد[٣١] .

والعنكبوت حيوان يعود لرتبة العناكب ، والتي تمتاز بأن لها منطقة رأس ـ صدر ، والتي تحمل زوجا من فكوك قوية فيها تجويف لنقل السم من غدته الى الفريسه بعد اصطيادها لقتلها او شل حركتها ، وبعض الانواع تفرز خيوطا تلف بها جسم الفريسة لمنعها من الافلات . وبعد ذلك تمتص سائلها الدموي . وبعضها يفرز مادة سامة في جسم الحيوان فتحدث التهابات شديدة ومن اهم هذه الانواع السامة هو العنكبوت الاسود Lateodctus mactans (32) :

### مكافحة مفصليات الارجل الطبية والمنزلية :

سأتحدث في موضوعنا هذا عن الوسائل والاساليب التي جاء ذكرها في الحاوي عن مكافحة هذه الحيوانات الضارة للانسان ، والتي قد تؤدي احيانا الى هلاكه .

لقد تعرّف الرازي على المبيدات ذات الاصل النباتي والمواد الكيمياوية اللاعضوية والمشتقات النفطية والتي تفيد في قتل او دفع ضرر هذه الآفات ،

بالاضافة الى تعدد الطرق التي استخدمها في معاملاتها . الا اننا نلاحظ ان هذه المواد والطرق اقتصر ذكرها على الحشرات الطبية والمنزلية فقط دون استعمالها ضد الحيوانات المفصلية الاخرى كالعناكب والعقارب ، وقد يعود ذلك الى ان الحشرات كثيرة العدد وصغيرة الحجم مما يؤدى الى صعوبة القضاء عليها بالطرق البسيطة والمعروفة كالمكافحة اليدوية ، والتي كانت تستعمل ضد العقارب مثلا لكبر حجمها وسهولة رؤيتها والسيطرة عليها وكذلك قلّة افرادها .

لذلك تحدث الرازي عن مكافحة الحشرات الطبية والمنزلية فقط ، واقتصر على ذكر مضار انواع العناكب او غيرها وما تسببه من اعراض مرضية .

كما ان الرازي لم يتطرق الى الطرق المختلفة في المكافحة ، كالطبيعية ( أي تأثير العوامل البيئية على هذه الآفات ) والميكانيكية والتشريعية او الحياتية وقد يكون هذا هو ليس مجال اختصاصه فاكتفى بذكر المواد الكيمياوية فقط . علما ان العرب عرفوا الطرق المختلفة في مكافحة الحشرات الطبية[٣٣] .

**المكافحة الكيمياوية :**

لقد اوصى الرازي باستخدام المكافحة الكيمياوية باساليب وطرق مختلفة يمكن تقسيمها على مايلي :

أ ـ مبيدات ذات اصل نباتي .

ب ـ مبيدات كيمياوية لا عضوية .

ج ـ المشتقات النفطية .

**ا ـ مبيدات ذات اصل نباتي :**

ومتى دخّن البيت بالآس اليابس والكمون هرب البق والبعوض[٣٤].

وقال[٣٥] : ومتى وضع الحرمل عند الفراش لم يقربه البق .

ان النباتات الطبية التي استخدمها الرازي في مكافحة الحشرات الطبية والمنزلية كان لها تأثير جيد على هذه الحيوانات نتيجة فعلها الطارد او السام او غيره من التأثيرات ، وقد اثبت العلم الحديث ذلك ، فقد وجد

ان المعاملات بخلاصة سيقان واوراق وازهـــــار الحرمك تسبب في قتل ١٠٠٪ من يرقات البعوض بعد ٢٤ ساعة من المعاملة (٣١) .

كما وجد ان لهذا النبات تأثير طارد على بالغـــاب الذباب المنزلي والبعوض (٣٧) .

بالأضافة الى تأثير النباتات الطبية الاخرى ، والتي تمت الاشارة اليها في جـدول ( ١ ) .

**جدول ( ١ ) يبين انواع النباتات الطبية التي ذكرها الارازي واستخداماتها**

| اسم النبات | الاسم العلمي | الفصيلة | استخدامه |
|---|---|---|---|
| اترج(٣٨) | Citrus medica | السذابية | لطرد السوس |
| الآس(٣٩) | Rusca culeiatus | الزنبقية | لطرد البق والبعوض |
| الافسنتين(٤٠) | Artmesia absinthium | المركبة | لطرد السوس |
| بصل الفاو(٤١) | Muscaria comosum | الزنبقية | لطرد الذباب |
| ترمس(٤٢) | Lupinus angustifolius | الباقلائية | لطرد البق والبعوض |
| ثوم(٤٣) | Allium sativum | الزنبقية | لطرد الزنابير |
| الحرمل(٤٤) | Peganum harmala | الزرجية | لطرد البق والبعوض وقتل البرغوث |
| الحسك(٤٥) | Tribulus terrestris | الزوجية | لطرد وقتل البراغيث |
| حنظل(٤٦) | Citrullus colocynthis | القرعية | لطرد الارضة وقتل البراغيث |
| الدفلي(٤٧) | Nerium oleander | الدفلية | لقتل البراغيث |
| دلب(٤٨) | Platanus orientalis | الدلبية | لطرد الخنافس |
| الشلجم(٤٩) | Brasssica repa | الصليبية | لقتل البراغيث |
| شونيز(حبة سوداء) (٥٠) | Nigella sativa | الشيقيقية | لطرد البق |
| شوكة(٥١) | Acanthus mollis | الاكلنكرية | لطرد البق |
| الفودنج(٥٢) | Mentha pulegium | الشفوية | لطرد السوس |
| قنب(٥٣) | Cannabia indica | الانجرية | لطرد البق والبعوض |
| الكمون(٥٤) | Cominum cyminum | الخيمية | لطرد البق والبعوض |

**ب ـ مبيـدات غير عضوية :**

تراب الزئبق والكبريت والقطران يقتل القردان واكثر الحيّات والهوام وخاصـة النمل[٥٥] .

وقال عن البراغيث يمتن من ريح الكبريت[٥٦] .

وكذلك اضاف : والجراد يهرب من ريح دخان الكبريت[٥٧] .

اما عن الذباب : الزبيب والزرنيخ الاصفر متى اطلقن في لبن ووضع وسط البيت قتل الذباب[٥٨] .

ان المبيدات الكيمياوية غير العضوية تعمل كمبيد معدي مثل ما استخدمت مركبات الزئبق والزرنيخ والكبريت كمبيدات لمكافحة الحشرات والآفات مفصلية الارجل الاخرى وغيرها . خلال النصف الثاني من القرن التاسع عشر ولغاية القرن الثالث من القرن العشرين .

**جـ ـ المشـتقات النفطيـة :**

النمل تهرب من احراق طائفة منها ، ...وكذلك الزفت[٥٩] .

ومتى وضع مغنطس[٦٠] على جحر النمل هربت وكذلك متى جعل في اجحارها القطران[٦١] .

لقد استخدم الرازي المشتقات النفطية من قطران وزفت في مكافحة الحشرات المنزلية ولم يوص باستخدامها على الحشرات الطبية ، ولعله كان ذلك لاسباب بيئية لما لهذه المركبات من اضرار ومواصفات تجعلها غير صالحة للاستعمال بشكل واسع ، ولذلك لم يوص بها سوى في اجحار النمل .

تحتوي المشتقات النفطية على عدد كبير من الهيدروجينات المركبـة المشبعة وغير المشبعة مع مركبات اخرى عديدة ، اساسها الكربون والهيدروجين متحدان مع النتروجين والاوكسجين او الفسفور او الكبريت . وتتوقف قيمة المشتقات النفطية كمبيدات كيمياوية على نسبة ما بها من هيدروجينات مكربنة مشبعة.وما زال استخدام هذه المشتقات النفطية شائعا حتى يومنا الحاضر في مكافحة العديد من الحشرات الطبية وخاصة البعوض ، وذلك من خلال معاملة المسطحات المائية لمنع تكاثره .

وهكذا نجد ان الرازي لم يكن متطببا فقط ، بل عالما في علوم الحيوان والنبات والكيمياء ، فنقل عنه الكثيرون من العلماء من غير المتطببين ، وعلى سبيل المثال وليس الحصر : القزويني صاحب كتاب عجائب المخلوقات وغرائب الموجودات ، وكذلك الدميري صاحب كتاب حياة الحيوان الكبرى .

**كلمات ومسميات تراثية :**

| | | |
|---|---|---|
| ارضة | حيات | سوس |
| الاس | خنافس | الشبت |
| استرخاء | داء الفيل | شوكة |
| الافسنتين | دخان | شونيز |
| برغوث | الدفلى | الصفراء |
| بصل الفأر | دلب | عقرب |
| بعوض | ذباب | عنكبوت |
| بغداد | ذراريح | الفودنج |
| بق | ذو الاربع والاربعين | قردان |
| بول | الرازي | قروح |
| ثرمس | رتيلاء | القزويني |
| ثوم | الرجيع | قشعريرة |
| الجاحظ | رعشة | قنب |
| جالينوس العرب | الرقطاء | كبريت |
| جراد | الري | كزاز |
| جرارة | ريح | الكمون |
| جرجس | زئبق | الكوكبية |
| الحاوي | زغب | لسعة |
| حبة سوداء | زنبور | مغس |

| | | |
|---|---|---|
| الحك | الزيبرية | مغنطس |
| حرمل | سرطاني | نحل |
| حكاك | السلجم | نمل |
| الحمراء | السوداء | الهوام |
| حنظل | | يرم |

## الهوامش

(١) توفي سنة ٣١١ هـ/٩٢٣ م .

(٢) مدينة قديمة فتحها العرب في زمن الخليفة الثاني عمر بن الخطاب (رض) سنة ١٨ هـ ، وولد فيها ايضا الخليفة هارون الرشيد ( انظر كتاب طبقات الاطباء لابن ابي اصيبعة ، ص ٤١٤ ) .

(٣) نفس المصدر ، ص ٤١٥ .

(٤) فائق ، ص ٧١

(٥) موسى ، ص ٢٠٠ .

(٦) الحاوي : ج ١٦ ، ص ٣٢٣ و٣٣٠ .

(٧) نفس المصدر ، ص ٣٢٣ و٣٢٥ .

(٨) نفس المصدر ، ص ٣٢٣ و٣٣١ .

(٩) نفس المصدر ، ص ٣٢١ و٣٢٣ و٣٢٤ و٣٢٥ و٣٣١ .

(١٠) نفس المصدر ، ص ٣٢٥ .

(١١) نفس المصدر ، ص ٣٢٥ .

(١٢) نفس المصدر ، ص ٣٢١ .

(١٣) نفس المصدر ، ص ٣٢١ و٣٢٢ .

(١٤) نفس المصدر ، ص ٣٤١ .

(١٥) نفس المصدر ، ص ٣٣٤ و٣٣٨ .

(١٦) نفس المصدر ، ص ٣٢٣ .

(١٧) نفس المصدر ، ص ٣٢٨ و٣٣٦ .

(١٨) نفس المصدر ، ص ٣٢٥ و٣٣١ .

(١٩) راجع كتاب الحيوان للجاحظ .

(٢٠) راجع عجائب المخلوقات وغرائب الموجودات للقزويني .

(٢١) الحاوي : ج١١ ، ص ٢٨٤ .

(٢٢) اي قطع الساق المصاب .

(٢٣)

(٢٤) كتاب الحاوي : ج١١ ، ص ٣٤٥ .

(٢٥) نفس المصدر ، ص ٢٦١ – ٢٦٢ .

(٢٦) نفس المصدر ، ص ٢٧٩ .

(٢٧) نفس المصدر ، ص ٢٤٩ .

(٢٨) نفس المصدر ، ص ٢٥٤ .

(٢٩)

(٣٠) الحــاوي : ج١٩ ، ص ٣٣١ .
(٣١) نفس المصــدر ، ص ٢٥٧ .
(٣٢) جمبوب وعيسى ، ص ٤٢ .
(٣٣) رأجع كتاب الحيوان للجاحظ : ج٣ وج٥ .
(٣٤) الحــاوي : ج١٩ ، ص ٣٢٣ .
(٣٥) نفس المصــدر ، ص ٣٢٥ .
(٣٦) عبدالامير ، ص ٥٩ ــ ٦٠ .
(٣٧) نفس المصــدر ، ص ٧٦ و٨٢ .
(٣٨) الحــاوي : ج١٩ ، ص ٣٢٣ .
(٣٩) نفس المصدر والصفحة .
(٤٠) نفس المصــدر والصفحة .
(٤١) الحــاوي : ج١٩ ، ص ٣٢٢ ــ ٣٢٣ .
(٤٢) نفس المصــدر ، ص ٣٢٣ .
(٤٣) نفس المصدر ، ص ٣٢٤ ــ ٣٢٥ .
(٤٤) نفس المصــدر ، ص ٣٢٥ وص ٣٣٣
(٤٥) نفس المصــدر ، ص ٣٢٣ .
(٤٦) نفس المصدر ، ص ٣٢٢و٣٣٠ .
(٤٧) نفس المصــدر ، ص ٣٢٥
(٤٨) نفس المصــدر ، ص ٣٢١ .
(٤٩) نفس المصــدر ، ص ٣٣٣ .
(٥٠) نفس المصدر ، ص ٣٢٥ .
(٥١) نفس المصدر ، ص ٣٢٤ .
(٥٢) نفس المصدر ، ص ٣٢٣ .
(٥٣) نفس المصــدر ، ص ٣٣٠ .
(٥٤) نفس المصــدر ، ص ٣٢٣ .
(٥٥) نفس المصدر ، ص ٣٣١ .
(٥٦) نفس المصــدر ، ص ٣٢٥ .
(٥٧) نفس المصــدر ، ص ٣٢٥ .
(٥٨) نفس المصــدر ، ص ٣٢٢ .
(٥٩) نفس المصــدر ، ص ٣٢٥ .
(٦٠) لعله يقصد مغناطيس .
(٦١) الحاوي : ج١٩ ، ص ٣٢٣ .

## المصــــــادر


- ابن ابي اصيبعة ، عيون الانباء في طبقات الاطباء ، تحقيق : د. نزار رضا. مكتبة الحياة . بيروت ١٩٦٥ .
- الجاحظ ، ابو عثمان : كتاب الحيوان ، تحقيق وشرح عبدالسلام هارون مكتبة مصطفى البابي الحلبي ، القاهرة ١٩٤٥ .
- جمبوب، ابراهيم علي وعيسى ، محمد جمال : الحشرات الطبية والبيطرية الهيئة المصرية العامة ، القاهرة ١٩٧١ .
- الرازي ، ابو بكر : الحاوي في الطب ، حيدرآباد الدكن ، الهند فائق فرات : ابو بكــر الرازي حياته ومآثــره ، مطبعة الارشــاد . بغــداد ١٩٧٣ .
- القزويني ، زكريا محمد : عجائب المخلوقات وغرائب الموجودات . دار الفكر . لبنان ( بدون تاريخ ) .
- عبدالامير ، كواكب : التحري عن بعض النباتات العراقية الحاوية على مواد سامة او جاذبة او طاردة للحشرات . رسالة ماجستير ، كليــة الزراعة ، بغــداد ١٩٨١ .
- موسى ، جلال محمد : منهج البحث العلمي عند العرب . دار الكتاب بيروت ١٩٧٢ .

Imms, A. D. 1960 A general tetbook of entomology. 9th ed. Methuen, London.

Khalaf, L. 1962. A samall collection of scorpions from Iraq. Bull, Iraq nat. Hist. Inst. 2(4): 1—3, Baghdad.

# أثر ( الفتــرة الرازية ) على الطب العــربي

الدكتــــــور

تومـــا شـــماني

يتفق المؤرخون ومدونو السير والاخبار والعبر من الاقدمين على ان ابا بكر الرازي طبيب من اكثر الاطباء معرفة وشهرة ويضيف الى ذلك الدارسون المحدثون للتراث الطبي بانه برع في التدوين السريري وانه من اخصب الكتاب الطبيين العرب واكثرهم سعة في المدارك الطبية •

الواقع اننا امام طبيب غير عادي لم نألف له نظير واذا كان قد حل في الزمن الذي حل فيه كقطب كبير ومن بغداد بالذات لا من الري ولا من اية حاضرة عربية او اسلامية أخرى فان لذلك اسبابه وبواعثه واعتباراته وبالتالي أثره وفاعليته ومداه •

ان التعريف الذي اسلفناه في الرازي تعريف تعميمي يعطينا خطوطه العامة ، واذا أردنا معرفة موقعه بالضبط بالقياس الى الطب العربي فالطب الاوربي في القرون الوسطى ، فينبغي وضع خلاصة سريعة عن الطب عموما قبل الرازي وفي ( الفترة الرازية ) ثم ( ما بعد الرازية ) وليست هذه التسمية بالغريبة ، فقد عرف الطب اليوناني فترات متعددة لها ( الفترة الجالينوسية ) ثم ( ما بعد الجالينوسية ) • واذا كان موقع الرازي من الطب العربي كموقع جالينوس من الطب اليوناني فان الدارس لا يجد حرجا في وضع علامات بارزة على طريق الطب العربي بالقول مثلا ( بفترة رازية ) ثم ( ما بعد رازية )•

وعندما نستذكر نحن ابناء هذا العصر ، الصور المتلاحقة للطب العربي فاننا نستحضر بلا ريب دائما ذلك الطب في صوره الكاملة ابتداء من الحارث ابن كلدة حتى آخر الفصول يوم ترجمت الاسفار الطبية العربية الى اللاتينية واللغات الاوربية الاخرى ، وبهذا تتجمع لدينا صور كثيرة ، بغداد ، ابن بختيشوع ، حنين ، الرازي ، الزهراوي ، علي بن العباس ، ابن سينا ابن النفيس ، وكثيرون غيرهم مما جاء ذكرهم في التواريخ • بيد اننا الان

بصدد دراسة حياة قطب واحد من أقطاب الطب العربي توسط تلك القصة تفاعل مع نصفها الاول وفاعل في النصف الثاني واحتل مكانا مرموقا لا على ارض العروبة والاسلام فحسب بل في الديار الاوربية والمسيحية •

لابد للمتصدي لحياة ابي بكر الرازي واثره فيما بعده أن يحدد له زمنه على الخارطة التاريخية وهي تلك الفترة التي لا ترتقي الى اكثر من الخط الذي يحدد الانعطاف على النصف الثاني من القرن الميلادي العاشر لان الرازي وفق احدى الروايات قد توفي عام ٩٣٢ م ولهذا فان اية محاولة دراسية من هذا النمط لتحديد مكانته انما ينبغي ان تبدأ من عام ١٤٥ هـ / ٧٦٢ م ، وهي سنة تخطيط مدينة بغداد لتنتهي هذه الفترة في عام ٩٥٠ م اي بعد عقدين من وفاة الرازي • كما ينبغي التمهيد بذلك بخلاصة سريعة للاصول والينابيع الأولى التي اخذ منها الطب العربي وارتوى قبل تأسيس مدينة بغـداد لكي تكون الصور واضحة المعالم وافية الابعاد • وبهذا نستطيع فهم فكر الرازي الطبي ومداه وبمن وبماذا تأثره فيمن سبقه او عاصره من الافذاذ ثم تأثره فيمن جاء من بعده •

يبدأ الطب بداياته الاولى في وادي الرافدين ووادي النيل ، وعلى هذين الواديين انزاحت الخرافات الاولى عن الطب وتبين طريقـه العلمي الاول •• وقد تلقفته أمم اخرى حتى استقر في بلاد الاغريق طبا موضوعيا وقد ازدحمت فيه شخصيات كثيرة كان ابرزها جمهرة منها ، ابقراط ( ٤٦١ـ ٣٦٠ ) ق•م الذي ولد في قوس من اسرة اسقولابية تداولت الطب أبا وجدا واخا واختا • وكان افلاطون وارسطو يشيران الى ابقراط ( بالثقة الطبية البارز ) ولقد كان ابقراط رفيع الاخلاق عالي المعرفة لهذا فان اعظم ما يعرف عنه هو دعوته ( كتمان اسرار المرضى ) وتجلى ذلك اكثر ما تجلى في قسمه الذي ما يزال يؤديه كل متطبب جديد امام الله والوطن اثر تخرجه من كلية الطب ، حيث يعلن ( ان كل ما سأشاهده او سأسمعه في مجال الممارسـة الطبية او فيما هو بعيد عن الممارسـة الطبية وله علاقة بحياة بشرية فانه

ساحتفظ به مع نفسي معتبرا اياه من الاشياء التى لا تدخل فى نطاق الاحاديث ) .

اما الاعتبارة الثانية العظيمة لابقراط والتي لا يمكن نسيانها مع سابقتها فهي عنايته الكبيرة في شأن ( المراقبة ) او ( المتابعة ) او ( الملاحظة السريرية ) Clnical Obsarvation وبهذا المنهج أي المتابعة السريرية وضع الطب في الطريق الصحيحة وذلك كما يقول الدكتور دونالد كامبيل في مؤلفه الموسوم ( الطب العربي وأثره على العصور الوسطى ) ثم يضيف الدكتور كامبيل قائلا بان هاتين السمتين البارزتين في حياة ابقراط وهما ( الحفاظ على السر ) و ( المتابعة السريرية ) قد أدتا الى حدوث كل ما هو جيد في الطب العربي وطب القرون الوسطى والطب الحديث .
ويميل بعض المؤرخين الى اعتبار نظرية الاخلاط HUMORAL في المرض التي اخذت لها مكانا مرموقا في الطب ولحقبة طويلة من الزمن انما كانت من استنباط ابقراط الا ان الواقع ان هذه النظرية المبتسرة قد جاء بها قطب آخر في الطب وهو جالينوس ( ٢١٠ ــ ١٣١ م ) اي بعد خمسة قرون ولكن رغم ذلك فانها لا تعدو ان تكون نظرية كانت قائمة بشكل من الاشكال منذ ابقراط وما قبله ، وترى نظرية الاخلاط ان الجسم يحتوي اربعة من الاخلاط هي الدم والبلغم والسوداء والصفراء وان المرض يحدث جراء امتزاج هذه الاخلاط غير المنتظم او غير الصحيح .

قد تكون هذه البداية في التمهيد لجالينوس بهذه النظرية المبتسرة غير العلمية ليست في صف جالينوس ولكن الواقع ان لجالينوس مجالات ريادية اخرى في الطب فهو يعتبر المثل الحقيقي ( لمدرسة الاسكندرية ) وهي المدرسة التي نهضت برسالة الطب يوم توقف العطاء في بلاد الاغريق ، فحملت مدرسة الاسكندرية الرسالة كاستمرار امتد خمسة قرون اضيفت للفكر الطبي اليوناني ولقد ساهمت مدرسة الاسكندرية في اعلاء شأن الدراسات التشريحية والفسلجية لذا فهي تعتبر ( مدرسة تشريحية ) وهي

في الوقت ذاته تعتبر الوسيط بين ابقراط وجالينوس وفي حقيقة الامر ان جالينوس قد ختم ما يعرف بفترة ( التشريح التطبيقي ) •

ليس من شك ان هذه ( المدرسة التشريحية ) لا تخلو من جذور قديمة في هذا الفن فقد عرف طب وادي الرافدين تشريح الكبد كما عرف طب وادي النيل التحنيط وهو وشيج الصلة بالتشريح ، لهذا فان هذه المعلومات التي جاءت عن مدرسة الاسكندرية انما تعتبر معلومات تشريحية تجميعية جاءت من سالف الزمن وانتهت بانتهاء حياة جالينوس • الواقع ان الكتلة الرئيسية من كتابات جالينوس الوافرة في التشريح لا تعود لتجربته وابحاثه الذاتية وانما اخذها من العديد من اساتذته الذين اخذ عنهم الطب والتشريح • وبهذا ينبغي القول بان مؤلفات جالينوس الكاملة لا تحمل افكارا وممارسات وتقاليد مدرسة الاسكندرية فحسب بل هي في الوقت ذاته موسوعة للطب اليوناني • وما دمنا بصدد مدرسة الاسكندرية فينبغي ان لا نغفل قطبين بارزين فيها وهما :

هيروفيليوس HIROPHSYLUS حوالي ٢٨٠ ق•م •

وأراسيستراتوس ERASISTRATUS اذ لهما الفضل في ارساء دعائم التشريح والفسلجة • كما ينبغي ان لا ننسى ديوسقوريدس DIOSKORESES من عين زربه ، الذي جاء قبل جالينوس بثلاثة عقود فحسب وكتابه في ( الاعشاب ) يعتبر موردا فريدا في مصادر المعرفة في الادوية • وبقي هذا الكتاب دستورا اوحدا في هذا المجال لقرون متعاقبة وقد اطلع عليه الاطباء الشرقيون واحتفظوا به في خزائنهم في استنساخات كثيرة تحمل رسوم الاعشاب بريشة رسامين لا يمكن حصر اعدادهم • وقد ترجمه الى السريانية سرجيوس الرأس عيني فكان من أوائل الكتب التي ترجمت الى العربية •

وفي الفترة الاخيرة من الطب اليوناني وبعد انحسار ( مدرسة الاسكندرية ) قام طب متمم له عرف ( بالفترة البيزنطية ) وهي الفترة

التي اخلصت لابقراط وجالينوس ، وبدت شعلة الطب فيها قليلة الوهج الا ان مؤرخين آخرين يرون في هذه الفترة حركة ليست قليلة الشأن ، فقد عرفت الفترة مدارسين وكتابا طبيون كان لهم تاثير مباشر على الطب العربي والتأليف الطبي العربي وذلك بنشرهم موسوعات كانت خلاصة لمن سبقهم ونذكر من هؤلاء اوريباسيوس وغيره ولكن ينبغي ان نذكر آخرهم الذي ختم الفترة البيزنطية وهــو بولص الاجنيطي **Paul of Aegina** وهو آخر من اعتنى بجمع كتابات السالفين • ولقد احبه الاطباء العرب المتأخرون لانه جاء بمعلومات وافرة في التوليد ولهذا فقد اشار له الكتاب العرب في كثير من الاحيان بـ ( المولد ) او فولس وكانوا في بعض الاحيان يكتفون بالقول ( قال فولس ) وقد اخذ العرب عنه كثيرا في الجراحة والتوليد •

بعد فولس لم يعد للطب اليوناني أرضا يرتكز عليها وكان من حظ البشرية أن احتضن العرب الطب ، فقد رعاه الخلفاء والوزراء والـولاة ورجال العلم العرب والمسلمون • وعندما بدأت حركة الطب بالانبلاج في بلاد العرب كانت تعتمد بشكل رئيسي في بنائها كمادة ابقراطية وجالينوسية •

وفي ختام مرحلة الطب اليوناني ينبغي الاشارة الى المخطوطات السريانية التي اعتمدت الطب اليوناني مادة والسريانية لغة ، وبذلك توفرت مصادره ومناهله في المدارس الطبية التي كانت قائمة آنذاك كمدرسة نصيبين والرها وانطاكيا وجنديسابور ، وظهر بين الســريان اطباء وكتاب طبيون افــذاذ ما لبثت كتبهم ان اخذت مكانها في اروقة التدريس وفي الممارسات الطبية • ولهذا فقد شكلوا رافدا طبيا آخرا وقبل اظطلاع بغداد بمهمة ( الترجمة الكبرى ) تلك الحركة لم تدانيها حركة قبلها في التاريخ •

وقبل بغداد لم تظهر في اللغة العربية من الكتب الطبية الا بضعة كتب لا تزيد على اصابع اليد عـدا ولقد كانت تلك في مجملها بدائية بسيطة لا تشفي غلة • وبعد بغداد تبدلت صورة حركة النشر الطبي وتبدلت صورة الطب تبدلا واضحا •

قامت بغداد في سنة ( ١٤٥ هـ ـ ٧٦٢ م ) في عهد الخليفة العباسي ابو جعفر المنصور والامر غير خاف عليكم ان قلنا ان قيام بغداد واضطلاعها بدور رئيسي في احتضان الطب قد ادى الى انهيار ( مدرسة جنديسابور الطبية ) التي كانت تقوم بمهمة التدريس الطبي ابان ظهور الرسالة الاسلامية. ولقد كان العامل الاول في رحيل اطباء جنديسابور عنها ، النور الوهاج الذي احدثته بغداد ، ولهذا فقد شدّوا رحالهم لمدينة السلام اما بدعوة من الخليفة او طلبا للمكانة العلمية او التدريس او الشهرة او المال . لقد توفر في بغداد كل شيء وليس الاشعاع الطبي حسب .

لقد كانت الاحداث العلمية والثقافية تدور متلاحقة بسرعة فاثر قيام هذه المدينة بدأت حركة ترجمة بدت غير نشطة الا انها سجلت بدايات كان لابد منها كاساس لانطلاقة اكبر . ولقد كان المنصور بدوره حريصا على خلق طب جديد يتناسب والمكانة التي بلغتها الدولة العباسية .

واضطلع ( بيت الحكمة ) بنصيب وافر في الترجمة والنقل ، وبلغت حركة الترجمة نشاطها في عهد الخليفة هارون الرشيد الذي ارتقى في عام ( ١٧٠ هـ/٧٨٦ م ) ودامت خلافته ربع قرن وفي عهده بني اول مستشفى ( بيمارستان ) حديث بالمعنى المعروف للحداثة آنذاك . ولقد شهد عهد المأمون ( ٨١٣ ـ ٨٣٣ ) حركة علمية فكرية غير عادية وأولى عناية خاصة ( لبيت الحكمة ) وعززها بالكتب والمترجمين . وقد ارتبطت حركة الترجمة بقطب فيها وهو حنين بن اسحق ( ٨٠٩ ـ ٩٧٣ ) .

قبل انتهاء المرحلة الاولى في الطب العربي وهي مرحلة ( الترجمة والنقل ) ظهرت كتب عديدة الفت باللغة العربية مباشرة ولكنها لم تصل مرحلة عالية من النضج فلقد كانت تجميعا وانتقاء من هنا وهناك ، ولعل افضل تلك التاليف منزلة ( كتاب فردوس الحكمة ) لعلي بن ربن الطبري الذي كتبه حوالي ( ٨٥٠ م ) وهو اول موسوعة طبية في تاريخ الطب العربي. و ( كتاب فردوس الحكمة ) وان يكن غير مستوف جوانب التأليف الطبي

الاصيل كافة بل كان تجميعا لافانين كثيرة من العلوم فنها الجغرافية الا انه كان ذا اثر كبير على دارسي الطب في الفترة اللاحقة وفي التأليف الطبي ، بيد ان ( كتاب فردوس الحكمة ) فقد بريقه عندما ظهرت كتب اكثر موضوعية في الصنعة الطبية ، ومن ابرز تلك الكتب كتاب ( الحاوي ) للرازي ولكن ينبغي القول بان الرازي الاستاذ كان أحد الذين درسوا ( كتاب فردوس الحكمة ) .

ان فترة الترجمة هذه لم تزد في مدتها باكثر من قرن ونصف القرن بل ربما يصح اعتبارها لا تزيد على القرن . وكان ابرز حصيلتها الفترة الطبية العربية الذهبية التي تركت آثارها في عمق التاريخ وجعلت بغداد حاضرة فريدة في الطب ومحافل التدريس والنشر الطبي والمعارف واجتمعت في بغداد مرة واحدة ستة بيمارستانات .

تلك كانت الصورة الملخصة للثقافة الطبية التي توفرت لدارسي الطب في عصر الرازي ، سواء أكان ذلك الدارس يعيش في الري او في دمشق او في بغداد او في اية حاضرة اخرى . ومن يريد الاستزادة في معرفة الكتب التي توفرت في بغداد في فترة الترجمة ولاول مرة في تاريخ العرب الحضاري فليلجأ الى عدد من الاسفار التاريخية حيث يجد فيها ضالته ومن هذه الاسفار ( الفهرست ) لابن النديم و ( تاريخ الحكماء ) للقفطي وطبقات الاطباء ) لابن جلجل و ( عيون الانباء في طبقات الاطباء ) لابن ابي اصيبعة و ( كتاب تاريخ الاطباء ) لاسحاق بن حنين و ( كتاب طبقات الامم ) لابن صاعد و ( تاريخ حكماء الاسلام ) للبيهقي و ( وفيات الاعيان ) لابن خلكان و ( مختصر تاريخ الدول ) لابن العبري وغير ذلك من اسفار التاريخ .

بدى الرازي شعلة عصره ، فقد برز في اكثر من ميدان ، فلقد جمع زمام اللغة واخذ بناصية الفلسفة في اكثر من أفق ، ولكننا لسنا على قدرة على تقييم مركزه في هذه الميادين كما لا يهمنا امر افكاره وانتماءاته الفلسفية فهو بالنسبة لنا طبيب فذ يفخر به عصره وهو دون ادنى ريب يشكل بدء

عصر طبي عربي جديد • اثر بفاعلية ، ليس على الطب العربي حسب بل في تاريخ الطب عموما • ولابد من القول ان النهج الدراسي والسلوكي الطبي الذي انتهجه لا يمكن ان يكون بعيدا عن عوالمه الفلسفية وخلفياتها وهذه الخلفية قد لا تكون قد تيسرت لطبيب جاء من قبله ، ولهذا يكون قد بدى في الطب بشكل خاص ومن بين الكثير من الاطباء على انه ينظر الى الاشياء بعين ثاقبة مدركة ملحاحة في طلب الحقيقة وبصبر وأناة وحسن تدبير وليس بالتسليم للاشياء تسليما مطلقا •

فالرازي ـ لهذا ـ طبيب من نسيج جديد ومن نوعية جديدة استوعب علوم عصره الطبية استيعابا جيدا ثم افرزها في اطار جديد غير معهود • لقد كان اكلينيكيا ( سريريا ) عظيما وكاتبا طبيا اصيلا اتبع الاسلوب الواضح كما اهتم بوحدة الموضوع في كتبه او مقالاته • والمهم في هذا الامر أنه كان أمينا على التراث والافكار الابقراطية والجالينوسية •

وأبو بكر الرازي فوق كل شيء يمثل النتاج المباشر والحقيقي لمدرسة بغداد الطبية والنتاج الاول عالي النوعية للفترة الذهبية في الطب العربي التي كانت النتيجة المنطقية لذلك التطور الهائل الذي حدث في بغداد في ( فترة الترجمة والنقل ) والتي ترجمت فيها كتب الثقافات كافة التي كانت قائمة في الدنيا آنذاك وابرزها كتب الطب التي سعى الخلفاء الى احضارها الى بغداد • ومهما يكن اختلاف المؤرخين في المكان الذي تلقى فيه ابو بكر الرازي علومه الطبية في الري أم في بغداد أم أي حاضرة اخرى فان الشيء الاكيد والذي لابد من تقريره هنا هو ان ابا بكر الرازي انما يعتبر الابن الاكبر البار لافكار بغداد الطبية والنتاج الحقيقي للفترة الطبية العربية الذهبية كما اسلفنا من قبل •

ويقول الدكتور كمال السامرائي في كتابه ( مختصر تاريخ الطب العربي ) « في بيمارستان بغداد ظهرت مواهب أبي بكر الرازي الفكرية وكفاءته العلمية في استجلاء اسرار المهنة واساليب تطبيقها فتوصل الى

اكتشافات لم يسبقه اليها احد من ذوي الصناعة الطبية في ذلك الزمان » •

كما يضيف قائلا « ونلاحظ في اقوال الرازي افكارا جديدة في ممارسة الصنعة ، ونغمة رنانة في التعبير عنها لم نألفها في كتاب ( فردوس الحكمة ) لابن ربن الطبري وسوف نرى اننا لن نلمسها ايضا في كتب المجوسي او ابن سينا ، وهم المؤلفون الثلاثة الذين تصح المقارنة فيما بين مؤلفاتهم الطبيـة » •

بعد هذا ينبغي ان نقف هنا برهة لنتساءل ترى ما الذي يميز هذه ( الفترة الرازية ) عن سابقتها في الطب العربي ، وذلك لكي تكون الصورة عن الرازي اكثر جلاء ووضوحا • وعلى هذا الاساس ينبغي التأكيد والتقرير هنا بما يلي :

١ ــ في ( الفترة الرازية ) وهي بداية العصر الطبي العربي الذهبي ، وما بعد هذه الفترة لم يعد هناك اية حاجة للاستعانة بترجمات الكتب من اية لغة اجنبية الى العربية ، بل غدت اللغة العربية اللغة العلمية الطبية المستوفية لحاجات الصنعة فكرا وتطبيقا • كما غدت تطابق حاجات الابداع والافراز في التأليف الطبي ، لهذا فان كل ما ظهر من كتب طبية معتمدة في العالم لم تكن الا باللغة العربية ابتداء من الهند وايران حتى الاندلس • وفي هذه الفترة اخذت الوفود الاوربية ترتاد الحواضر العربية وخاصة الاندلس وصقلية لطلب المعرفة الطبية •

٢ ــ في ( الفترة الرازية ) وما بعدها ظهرت ابداعات ومبادرات الاطباء العرب جلية وقد سجلت في تأليف كانت عالية المستوى ، وتقدمت بشكل خاص الاعمال في المستشفيات وتنوعت اختصاصاتها ، كما شيدت الفروع التطبيقية تراكما عاليا في الخبراء والتقاليد وظهـر جراحون مبدعون نالوا قدرا عاليا من الشهرة في العالم • وتقدمت في ذات الوقت فنون الصيدلة كما شهدت تلك الحقبة تطـورا في التدريس الطبي وتوفرت مصادر البحث والقراءة الطبية كما ظهرت الموسوعات الطبية في شكل أحسن اخراجا وتدبيجا •

٣ ـ استمر العصر الطبي العربي الذهبي الذي ابتدأ ( بالفترة الرازية ) طيلة القرنين العاشر والحادي عشر الميلاديين . وفي هذا العصر بالذات سطعت المع الاسماء في مسيرة الطب العربي وبدى من كتاباتهم أنهم كانوا اكثر فهما للمرض واوسع قدرة في صنعتهم . وكان هـؤلاء الذخيرة التي امدت الطب في اوربا في القرون الوسطى بالمادة الطبية التي أدت الى ظهور عصر النهضة في اوربا . هؤلاء الاطباء كانوا بالاضافة الى اسماء اخرى من الفترات السابقة لهم ، الجسر الموصل لاستمرار مسيرة الطب دون انقطاع حتى هذا اليوم .

٤ ـ ان ( الفترة الرازية ) تمثل أولى بوادر الاوج في العطاء الفكري الطبي وهي فترة جاءت نتيجة حتمية ( لحركة الترجمة والنقل والتدريس والنشر ) التي شعت من بغداد ، فغدت حاضرة منيرة للدولة العربية الاسلامية . واذا كانت بغداد في بداية حركة الترجمة تستقطب الاطباء للوصول اليها ، فان الطب العربي شهد ظاهرتين كبيرتين هما :

آ ـ ان حركة الترجمة والنقل انحصرت في بغداد حسب ، وما ظهر من ترجمات للتاليف الاجنبية في الامصار والحواضر العربيـة والاسلامية الاخرى لم تزد على اصابع اليدين عدّا . لذا فان الكتلة الاساسية في التحضير والتثقيف الطبي انما شعّت من بغداد ولهذا حفلت كتب الاخبار بانباء ووفود كثيرة جاءت الى بغداد من الاندلس والمغرب وسوريا وشرق المشرق تطلب كتبا تروي بها ضمأها العلمي .

ب ـ ان كل ما ظهر من تقدم طبي في الاندلس او في مصر او في تونس او غير ذلك من الامصار العربية الاسلامية انما اوقـد شعلته اطباء خرجوا من بغداد فنشروا معارفهم هناك او طلاب طب وعلم وادب جاؤا فاستزادوا ثم قفلوا راجعين الى امصارهم يعلون فيها شأن الطب .

ان الذي أود قوله بايجاز عن الرازي هو :

١ ـ انه ملتزم الاخلاقية العالية في الطب وكان أمينا وصادقا ومخلصا وتلك صفات الطبيب الحقيقي وبهذا أخلص لاستاذه وزميله ابقراط .

٢ ـ كان اكلينيكيا فريدا وتقدم به ( علم السريريات ) أشواطا الى آمام ، ولا احسب ان هناك من يدانيه في ذلك ممن جاء قبله وقد اسموه ( باجرب ) .

٣ ـ اسهم بسهم وافر في ( التجريب والاستقراء ) وهو أول من أدخل المستحضرات الكيمياوية في الصنعة وكانت قبله مقتصرة على المفردات النباتيـــة .

٤ ـ اوجد نهجا جديدا في الممارسة والتعليم الطبي وغدا الطبيب بعده اكثر فهما ووعيا بين العرض والمرض .

٥ ـ لقد زادت تآليفه على ا‍ ( ٢٣٧ ) مؤلفا ويقول ابن ابي اصيبعة انها بلغت ( ٢٣٢ ) مؤلفا ، اما صاحب الفهرست فيحددها في ( ١٤١ ) بين كتب كبيرة وصغيرة . وكتب في موضوعات لم تكن مألوفة من قبل كالمستشفيات .

٦ ـ ارتقى بكتابة الموسوعات الطبية الى مضامير أعلى الى درجة انه ليس بالامكان عقد مقارنة بين ( كتاب فردوس الحكمــة ) لعلي بن ربن الطبري وبين ( الحاوي ) له .

٧ ـ كثيرون كتبوا في الموضوعات الطبية ، بعضهم جمعها من هنا وهناك دون ان يفهم او يمارس ما كتب ، اما الرازي فهو واحد ممن درسوا ومارسوا الصنعة وكتبوا فيها لهذا جاءت مليئة بالابداعات والمبادرات والجــدة .

٨ ـ كان ( كتاب المنصوري ) قد ترجمه جيرار الكريموني الى اللاتينية بوقت مبكر . اما القسم ( التاسع ) منه فقد بقي كتابا للدرس في اوربا الغربية لمئات السنين وقد طبع هذا القسم بالايطالية على المطبعة

منذ ١٧٧٦ م • كان الكتاب الطبي المعتمد في القرون الوسطى • وجرت عليه تعاليق لا حصر لها وبقي يدرّس في جامعة توبنجن حتى نهاية القرن الخامس عشر •

ويعتبر كتاب الحاوي الاوسع انتشارا والاكثر أهمية لانه موسوعة طبية وجراحية ليس لها نظير آنذاك وتضم فنون وعلوم الطب كافة وتضم ٢٥ جزءا كان واحدا من مجموع ٧ مجلدات تتألف منها مكتبة مدرسة باريس للطب في سنة ١٣٩٥ م • والقسم التاسع منه والخاص بعلم الصيدلة بقي الكتاب المعتمد في اوربا حتى بعد قيام عصر النهضة الاوربية • وكان قد ترجمه الى اللاتينية المترجم فرج بن سليم • وينبغي ان لا ننسى كتابه الخاص بالجدري فهو كتاب لم تستغن عنه مدرسة او محفل طبي •

وفي الختام اود ان اشير الى ان الاسفار التراثية وكتب التاريخ تشير الى ابي بكر الرازي ( بجالينوس العرب ) ، الحق انه اجدر أن يسمى ( ابقراط العرب ) لانه حمل افكار ابقراط بامانة وصدق واخلاص •

## مصــــادر البحـــث

١ ـ مختصر تاريخ الطب العربي ، جزءان ، الدكتور كمال السامرائي .

٢ ـ الطب العربي ، مقدمة لدرس مساهمة العرب في الطب العلوم المتصلة به .
تاليف الدكتور امين اسعد خيرالله
ترجمة الدكتور مصطفى ابو عزالدين

٣ ـ العلم عنــد العــرب .
تأليف : الدوميلي
ترجمة : عبدالحليم النجار ومحمد يوسف .

٤ ـ
ARABIAN MEDICINE
BY: E. G. BROWN

٥ ـ
ARABIAN MEDICINE AND ITS INFLUENCE ON THE MIDDLE AGES

٦ ـ
ENCYCLOPAEDIA OF ISLAMIC MEDICINE.
BY: DONALD CAMPBELL.

# تــراث الــرازي

## احصــاء وتلخيص وتحليــــل

الاستاذ الدكتــور حسين علي محفــوظ

كليــــة اللغـــــات

جامعـــة بغـــداد

**عناصر البحث :**

- تصـــدير .
- احصـــاء تراث الرازي .
- الجمع بين الطب الجسماني والطب الروحاني .
- كتب الرازي في الطب .
- كتب الرازي في الحكمة والعلم الالهي .
- كتب الرازي في الطبيعيات .
- كتب الرازي في الفلسفة .
- كتب الرازي في الطب الروحاني والنفسي .
- كتب الرازي في المنطق .
- كتب الرازي في الكيمياء .
- كتب الرازي في الرياضيات والنجوم .
- كتب الرازي في الموضوعات المتفرقة .
- شـــعر الرازي .

بسم الله الرحمن الرحيم

## تصـــدير

يشتمل هذا البحث على احصاء تراث الرازي ، وتلخيص كتبه في الطب ، والحكمة ، والالاهيات ، والطبيعيات ، والفلسفة ، والطب الروحاني، النفسي ، والمنطق ، والكيمياء ، والرياضيات ، والنجوم ، وسائر الموضوعات الاخرى . وهي محاولة متواضعة للتعريف بنتاج الرازي في العلم فيها من تحليل كتبه ما يمكن أن يعد اختصارا جامعا شاملا لموضوعاتها . والرازي اوسع من ان تحيط بمعلوماته رسالة او دراسة أو مقالة او بحث او كتاب .

تراث الرازي ( ٢٧٢ ) كتابا ورسالة تكوّن مكتبة كبيرة في المعرفة والعلـم .

عدّد ابن النديم مؤلفات الرازي ، وأحصى من آثاره ( ١٦٧ ) كتابا ورسالة ومقالة في الفهرست .

وخصّص البيروني فهرسا لكتب الرازي أحصى ( ١٨٤ ) من مؤلفاته وآثــاره .

وسرد فهرست كتبه ابن ابي أصيبعة في كتاب عيون الانباء ، وهي في كتابــه ( ٢٣٦ ) .

ويعتقد بعض المؤرخين ان آثاره تزيد على ( ٢٠٠ ) مجلد . ولا شك انها فــوق ذلك .

وقال لا نكله دوفرنوا ان كتبه الطبية ( ٢٢٦ ) مجلدا فضلا عن بقية نتاجه في سائر العلوم .

وقد فصّل الدكتور محمود النجمابادي الطبيب آثار الرازي في كتاب ( مؤلفات الرازي ومصنفاته ) وأحصاها فبلغت ( ٢٧٢ ) .

ثم عددها في ثلاثة جداول ، ورتبها في الجدول الاخير على الحروف والموضوعات . وهي : الطب ، والطبيعيات ، والمنطق ، والحكمة ، وما بعد

الطبيعية ، والالاهيات ، والرياضيات ، والنجوم ، والكيمياء • اضافة الى بعض الموضوعات الاخرى المتفرقة •

تعتبر مؤلفات الرازي مكتبة كاملة في الطب والصيدلة والكيمياء والفلسفة والعلوم •

جمع الرازي الطب الجسماني والطب الروحاني • تناول في الطب الجسماني بدن الانسان وتفصيل علوم الطب ، وسماه ( صناعة الطب ) • وتشتمل على حفظ الصحة وأسباب العلل ، وعلاج الامراض ، وقوى الادوية والاغذية ، والادوية المركبة ، وصيدلية الطب ، والتشريح •

الف الرازي في الطب كتاب ( الحاوي ) ، وهو ( الجامع الحاصر لصناعة الطب ) وقد سماه ( الجامع ) ، ويسمى ( حاصر صناعة الطب ) ، استوعب فيه كل ما يحتاج اليه الطبيب ، وهو دائرة معارف طبية عظيمة معتبرة •

وعمل ( الكتاب المنصوري ) أو ( الكناش المنصوري ) تحرى فيه الاختصار والايجاز مع جمعه لجمل وجوامع ونكت وعيون من صناعة الطب علمها وعملها •

والف ( الفصول في الطب ) ويسمى ( المرشد ) •

وتناول علاج الامراض كلها بالاغذية في كتاب ( الطب الملوكي ) •

والف كتاب ( من لا يحضره الطبيب ) ويسمى ( طب الفقراء ) • تناول فيه علاج الامراض بالاغذية والادوية المشهورة الموجودة التي لا تكاد تنعدم في اكثر المواضيع ، ولا تخلو منها البيوت والمطابخ والاسواق والقرى • وقد ذكر فيه – ايضا – الادوية التي لابد منها في علاج الامراض فقط •

والف كتاب التقسيم والتشجير في تقاسيم العلل ، وكتاب تقسيم الامراض واسبابها وعلاجاتها ، وكتابا في الجدري والحصبة ، وكتابا في تولد الحصاة والحصى في الكلى والمثانة • وكتاب القولنج ، وأوجاع المفاصل ، والنقرس وعرق النسا ، واللقوة ، والبهق ، والبرص ، والحرقة

في الاحليل والمثانة ، والبواسير والشقاق في المقعدة ، والاعلال الحادثة على ظهر الجسد ، والزكام والنزلة ، وله برء الساعة ، والفروق بين الامراض .

وعالج العلل القاتلة لعظمها او لظهورها بغتة مما لا يقدر الطبيب على صلاحه وبيان عذره في ذلك .

وتناول الجبر ، والقطع ، والفصد ، والعمل بالحديد ، وتطريف الأجفان .

وله في التشريح كتاب هيئة القلب ، وهيئة الانثيين ، وهيئة الصماخ ، وهيئة العين ، وهيئة الكبد .

ورد على الجاحظ والناشيء في نقض الطب ، ولخص كتاب العلل والاعراض ، وفسر فصول بقراط .

عالج الرازي في كتبه الطبية أطرافا ممتعة من الموضوعات ، منها :
ان الحمية المفرطة تضر بالابدان ، وان المبادرة الى الادوية والتقليل من الاغذية لا يحفظ الصحة بل يجلب الامراض .

ومنها : ان الطبيب الحاذق ليس هو من قدر على ابراء جميع العلل ، وان ذلك ليس في الوسع ، وقد تناول العلة التي لها ترك بعض الناس ورعاعهم والطبيب وان كان حاذقا ، والعلة التي لها ينجح جهال الاطباء والعوام والنساء في المدن في علاج بعض الامراض اكثر من العلماء ، والاسباب المميلة لقلوب الناس عن افاضل الاطباء الى أخسائهم ، وقال ان جهال الاطباء يشددون على المرضى في منعهم من شهواتهم وان لم يكن بالانسان كثير مرض جهلا .

وتناول دقائق موضوعات الطب ، ومنها : العلة التي لها صار النائم يعرق اكثر من اليقظان ، وتناول الرياضة ، وفصل صفات البيمارستان في شروط المستشفى وأوصاف دار العلاج والتمريض .

والف كتاب الشافي في الطب ، والتذكرة المفيدة التي تعد من بدائع كتبه الحافلة بالفوائد والمعلومات .

والف في الصيدلة كتاب القراباذين الكبير ، وأبدال الادوية ، والادوية الموجودة في كل مكان .

وافرد السكنجبين ومنافعه ومضاره . ودرس دفع مضار الاغذية . وله كتب ورسائل في الفواكه والاغذية ، وما يقدم وما يؤخر من الاغذية والفواكه .

وتناول الرازي في الحكمة العلم الالهي ، ونقض كتاب اثابو الى فرفوريوس في شرح مذاهب ارسطاليس في العلم الالهي ، وردّ على ابي القاسم البلخي في نقضه المقالة الثانية في العلم الالهي ، ثم نقض البلخي ، وكتب اليه زيادة على جوابه وعلى جواب هذا الجواب .

وله ـ ايضا ـ كتاب الصغير في العلم الالهي على رأي سقراط ويدخل في الحكمة والفلسفة .

وتناول في الكتب الطبيعية سمع الكيان ، والهيولى المطلقة والجزئية. وردّ على المسمعي المتكلم في رده على القائلين بقدم الهيولي. وعالج موضوعي الخلاء والملاء ، وهما الزمان والمكان ، ودرس كيفية النمو ، وان الجسم متحرك من ذاته ، أي ان له محركا طبيعيا من ذاته .

وبحث العادة وانها تكون طبيعية ، وبحث عن الامراض الطبيعية أهي حجرية في الاصل أم طينية . وبحث في علة جذب حجر المغناطيس للحديد .

وتناول موضوعات ما بعد الطبيعة فألف كتابا كبيرا وكتابا صغيرا في النفس ، وكتابا في جواهر الاجسام ، وكتابا في ان النفس ليست بجسم ، وكتابا في ان الحركة ليست مرئية بل معلومة ، وكتابا في الفرق بين الرؤيا المنذرة وسائر ضروب الرؤيا .

ونقض كتاب الوجود لمنصور بن طلحة بن طاهر بن الحسين مؤلف كتاب الوجود وكتاب الدليل والاستدلالات ورسالة في العدد والمعدودات.

وتناول الرازي الفلسفة والحكمة فكتب كتاب العلم الالهي الصغير على رأي سقراط ، وكتاب الانتقاد والتحرير على المعتزلة ، وكتاب الاشفاق

على اهل التحصيل من المتكلمين بالفلسفة والمتفلسفين والمنطقيين . وفسّر كتاب فلوطرخس في تفسير كتاب طيماوس ولخصه . وألف كتاب ميزان العقل ، وبحث الشكوك التي على ابرقلس . ونقض كتاب التدبير ، واتم كتاب افلوطرخس .

وعالج سبب خلق السباع والهوام ، والف كتابا في الكواكب السبعة في الحكمـة .

وكتب رسالة الى الحسن بن محارب ، وكتابا الى الداعي الاطروش في الحكمة ، وآخر الى ابي القاسم بن دلف في الحكمة ايضا . وثالثا الى ابن ابي الساج في الحكمة كذلك ، وكتابا في الثبوت في الحكمـة ، وكتاب السـر فيهـا .

وصنف في الفلسفة القديمة ، وفيما اغفلته الفلاسفة ، وفيما يعتقده رأيا .

وكتب في الالهيات كتابا في ان للانسان خالقا متقنا حكيما . وفيـه دلائل من التشريح ومنافع الاعضاء تدل على ان خلق الانسان لا يمكن ان يقع بالاتفاق ، وكتابا آخر في ان للعالم خالقا حكيما ، وكتابا في انه لا يمكن ان يكون العالم لم يزل على مثال ما نشأ هده عليه الآن .

وجمع ما استدركه من الفضل في الكلام في القائلين بحدوث الاجسام على القائلين بقدمها .

والف كتابا على البلخي في تثبيت المعاد ، وردّ على المناني الثنوي فيما جرى بينه وبينه . وصنف كتابا في المناقضة بين اهل الدهر والتوحيد .

والف كتابا في السيرة الفلسفية ، وسيرة اهل المدينة الفاضلة ، وكتب النقض على الكيال في الامامة ، وكتابا في آثار الامام الفاضل المعصوم ، وكتابا في الامام والمؤتم والمحقين .

وله قصيدة في العضة اليونانية ، والف كتاب طب النفوس او الطب الروحاني في الاخلاق ، ونقض الطب اليوناني على ابن اليمان .

تناول الرازي في كتاب طب النفوس او الطب الروحاني ( الاخلاق )

وقد كان عمل مقالة في اصلاح المنطق لبعض اخوانه بمدينة السلام ايام مقامه بها .

وكتاب الطب الروحاني في الاخلاق هو قرين الكتاب المنصوري في الطب الجسماني وعديل له ــ كما يقول الرازي ــ وضمه اليه فيه عموم النفع والشمول للنفس والجسد .

عالج كتاب الطب الروحاني فضل العقل ومدحه ، وقمع الهوى وردعه ، وتعرف الرجل عيوب نفسه ، ودفع العجب والحسد والغضب المفرط الضار ، واطراح الكذب والبخل ، ودفع الضار من الفكر والهم ، وصرف الغم ودفع الشره والانهماك في الشراب والاستهتار بالجماع .

وعالج الولع والعبث ، ومقدار الاكتساب والاقتناء والانفاق ، ودفع المجاهدة والمكادحة على طلب الرتب والمنازل الدنيائية ، والفرق بين ما يرى الهوى وبين ما يرى العقل ، وفي السيرة الفاضلة ، والخوف من الموت .

ومن كتب الرازي النفسية : كتاب الشكوك على جالينوس ، فصّل فيه الشكوك والمناقضات التي في كتبه .

ذكر فيه ان كثيرا من الناس يستجهلونه في تأليف هذا الكتاب . وان كثيرا منهم يلومونه ويعنفونه على مناقضة رجل مثل جالينوس في جلالته ومعرفته وتقدمه في جميع أجزاء الفلسفة ومكانه منها .

وناقض كذلك الجاحظ في كتابه في فضيلة صناعة الكلام وبيان تناقض قوله وما غلط فيه على الفلاسفة ، وما جرى بينه وبين ابي القاسم الكعبي في الزمـــان .

والف كتبا في الآراء الطبيعية ، وتثبيت الاستحالة ، وان يمكن ان يكون سكون وافتراق لم يزل ولا يمكن ان يكون حركة واجتماع لم يزل ، وما قالت القدماء في المبادىء والكيفيات ، والفرق بين ابتداء المدة وبين ابتداء الحركات ، والبحث عما قيل في كتاب الاسطقسات في طبيعة الانسان .

ودرس الازمنة والاهوية ، وردّ على حسين التمار في جو الاسراب .

وتناول المنطق فألف ايساغوجي . وهو المدخل الى المنطق والبرهان ، وجمع بين الكلام والفلسفة فألف رسالة في المنطق بألفاظ متكلمي الاسلام ذكر فيها جميع ما يحتاج اليه .

واهتم بجمل المعاني ، ولاسيما جمل معاني انا لوطيقا الاولى ، وحمل باري ميناس .

والف كتابا في شروط النظر ، وكتابا في كيفية الاستدلال ، وله قصيدة في المنطقيات .

وتناول صناعة الكيمياء ، وكتب انها الى الوجوب اقرب منها الى الاقناع . وسمى كتابه هذا كتاب الأثبات .

وله كتاب يحتوي على اثنى عشر كتابا في المدخل التعليمي واثبات الصناعة وفي التدبير ، والحجر ، ومحن الذهب والفضة والاكسير ، والترتيب، ونكث الرموز والحيل .

والف كتاب الاسرار ، وكتاب سر الاسرار في الكيمياء ، وكتاب الخواص ، وكتاب الاحجار ، وكتاب الحجر الاصفر ، وكتابا في محنة الذهب والفضة والميزان الطبيعي . ومعنى ( المحنة ) الاختبار والامتحان .

وردّ على الكندي في رده على اهل الصناعة ، وعلى محمد بن الليث الرسائلي في رده على الكيميائيين ، ورسالة الى الوزير ابي القاسم بن عبيدالله .

وتناول الرازي الرياضيات والنجوم فألف كتابا في هيئة العالم . ودرس سبب وقوف الارض وسط الفلك على استدارة ( ؟ ) وعلّة قيامها في وسط السماء . وسبب تحرك الفلك على استدارة . وردّ على ابن وهاب في الشمس . وله مقالة في مقدار ما يمكن ان يستدرك من احكام النجوم على رأي الفلاسفة الطبيعيين ومن لم يقل منهم ان الكواكب احياء .

وله رسالة في ان الارض كرية ، وان الناس حواليها ، وفي غروب الشمس وطلوع الكواكب . وان ذلك ليس من اجل حركة الارض بل حركة

الفلك والسماء دون حركة الارض ، ورسالة في ان الكواكب على غاية الاستدارة ليس فيها نتوء واغوار . وفسخ ظن من توهم اا الكواكب ليست في نهاية الاستدارة .

كما الف كتابا في كيفية الابصار وانه ليس يكون بشعاع يخرج من العين . وقد نقض فيه اشكالا من كتب اقليدس في المناظر .

وعالج العلة التي من اجلها تضيق النواظر في النور وتتسع في الظلمة .

وله رسالة في قطر المربع ، وان الضلع غير مشارك للقطر ، وان القطر لا يشارك الضلع من غير هندسة .

وتناول موضوعات متفرقة منها : كتاب في المخاريق وحيل المتنبين ، وكتاب في النبوات ، ويدعى نقض الاديان ، وكتاب حيل الكتاب ، وكتاب عذر من اشتغل بالشطرنج ، وكتاب الرد على من اشتغل بفضول الهندسة ، ورسالة في أن الصانع المستغرق لصناعة معدوم في جل الصناعات الا في الطب خاصة .

وله كتاب الخواص التلاميذ ، وكتاب في الاوهام ، وفي الحركات النفسانية ومقالات في امارات الاقبال والدولة ، ورد على القائلين بتحريم المكاسب . وكتب اخرى في الموسيقى ، وفيما بعد الطبيعة ، ومقاصد الطباع ، وخلق الانسان ، والنفس والعالم ، والمياه ، وخواص الشراب ، وخواص الاشياء .

وتشير مؤلفات الرازي الى انه نظم القريض ، وعالج الشعر التعليمي . فان له قصيدة في المنطق ، وقصيدة في العظة اليونانية ، ونقل كتاب الاس لجابر الى الشعر .

## فهرست محتويات الكتاب

رقم الايداع في المكتبة الوطنية ببغداد
١٣٣٠ لسنة ١٩٨٨

**السعر ٢٫٢٥٠ دينار**

مطبعة العمال المركزية

تصميم: عقيلة جبار جياد